جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله
كلية العلوم الإنسانية
قسم التاريخ

محاضرات في مقياس

الدولة العثمانية نشأتها وتطورها (1299 _ 1453م)

السنة: الأولى ماستر
تخصص: الدولة العثمانية السداسي الأول

د/ يامنة بحيري

السنة الجامعية 2021 /2022

مطبوعة المحاضرات

مطبوعة المحاضرات

مطبوعة المحاضرات

السنة: الأولى ماستر

تخصص: الدولة العثمانية السداسي الأول

مقياس: الدولة العثمانية نشأتها وتطورها (1299 _ 1453م).

محتوى البرنامج وفق المقرر الوزاري

1- الأوضاع الإقليمية والدولية عند تأسيس الدولة العثمانية في مطلع القرن 14م.
2- تأسيس الدولة العثمانية 1299م.
3- أصل الأتراك العثمانيين.
4- التوسع في المناطق المحيطة بحوض سقاريا وبحر مرمرة.
5- السياسة العثمانية في الأناضول
6- العبور إلى البر الأوربي (الروملي)
7- السياسة العثمانية في المناطق المفتوحة بأوربا.
8- عصر السلاطين الأوائل:
أ- أرطغرل بك
ب- عثمان الأول
جـ- أورخان
د- مراد الأول وفتح البلقان
9- محاصرة البيزنطيين من الغرب وبداية الإحتكاك بالبلقان
10- السلطان بايزيد الأول ومحاولة بناء دولة مركزية
11- هزيمة أنقرة وإعادة بناء الدولة (1402 _ 1421م)
12- إعادة تثبيت الوجود العثماني في البلقان (1421 _ 1451م)
13-فتح إسطانبول وبداية عصر جديد 1453م

- قائمة المراجع المعتمدة.

مطبوعة المحاضرات

مطبوعة محاضرات مقياس الدولة العثمانية نشأتها وتطورها (1299 _ 1453م)

الأوضاع الإقليمية والدولية عند تأسيس الدولة العثمانية في مطلع القرن 14م

1ـ بدايات تشكّل الدّولة العثمانية:

- زحف المغول في موجات لأجل التوسع والبحث عن ميادين المعيشة في هذه المرحلة تظهر دولة مقدمة للدّولة العثمانية وتشبهها في عنصرها الدولة السلجوقية.
- العنصر التركي هو عنصر دخيل منذ أواخر الدولة العباسية كعنصر في الجيش ثم الإدارة.
- الأتراك سادوا في المنطقة التي عرفت بإسم سلاجقة الروم نسبة إلى سلجوق تشكلت في القرن 11م-1070م
- كانت ممارسة السياسة بيد السلاجقة كان لهم عدو أحيانا يتفقون معه وهو الدولة البيزنطية، لأن منطقتهم كانت على حدود بيزنطا، و الواقع أن المنازعات بين الغزاة من المسلمين و المرتزقة من البيزنطيين على تخوم آسيا الوسطى لم تنقطع طوال قرون وكانت الغلبة تكتب للمسلمين أحيانا و للبيزنطيين أحيانا أخرى و لكن أحدا من الفريقين لم يحقق نصرا حاسما على خصمه و كانت قد نشأت على هذه التخوم جماعة من المسلمين و عساكر الروم استطاعت بالرغم العداء القائم بين المسيحية و الإسلام لها مبادئ متشابهة في الفروسية و عندما رفع السلاجقة قواعد إمبراطوريتهم حاول ألب أرسلان أن يعزز حدودها بهجوم شنه على الأناضول فهزم قوات الإمبراطور البيزنطي رومانوس قرب ملاركرد عام 1071م و اقتاده أسيرا لكنه أعطاه حريته بعد أن عقج معه معاهدة صلح شريف [1].
- ظهر السّلاجقة كدولة وتحتم عليهم مقاتلة الدولة البيزنطية في معركة ملاذكرد و التي إنتصر فيها السلاجقة واعتقلوا الإمبراطور لكنهم لم يتوسّعوا على حسابها.

- هذه المعركة بيّنت أن الدولة البيزنطية ضعيفة يمكن التوغل في صفوفها، ففتح الباب من طرف السلاجقة أمام الجماعات التركمانية التي تظلّ تفد على منطقة الأناضول الغرب هروبا من الهجمات المغولية
- وجد السلاجقة أنفسهم يتعاملون مع أسر وجماعات الذين فرّوا من الغزوات المغولية، فكان لزاما عليهم تنظيم أحوال المناطق الأناضولية التي بيدهم (الفارغة)، وبالتالي تلك القبائل التي زحفت إلى الغرب، اتجه السلاجقة إلى تنظيمهم فأوجدوا سلطنة سلاجقة الروم (بلاد الأناضول آسيا الصغرى).

---

[1]- كارل بروكلمان، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، تر: نبيه أمين فارس و منير البعلبكي، ط 5، دار العلم للملايين، بيروت، 1968، ص401 – 402

- هذه المنطقة متحركة لأنّها منطقة ثغور فهي في مواجهة دائمة مع الأخطار، منطقة لم تكن بالسّهلة في التحكم فيها وزادتها الفوضى بهجمات المغول[2].

2ـ معركة ملاذكرد:

حدث في سنة 1067م أن إعتلى عرش الإمبراطورية البيزنطية رومانوس الرابع فأعاد تنظيم الجيش الذي كان معظمه يتألف من المرتزقة و يفتقد إلى التجانس، و خرج في سنة1071 م ليسترد أرمينية و يضع حدّا لتقدم السلاجقة، و عسكر بجيشه المقدر بمائتي ألف مقاتل في ملاذكرد في إنتظار لقاء خصمه السلطان آلب أرسلان، فأسرع هذا الأخير بالهجوم على مقدمة الجيش البيزنطي بسرعة خاطفة، و دعا جنده إلى الإستماتة في القتال دفاعا عن الإسلام.
كان يوم الجمعة 19 أوت 1071م موعدا للإشتباك في معركة عنيفة فلم يستطع الجيش البيزنطي المقاومة، ووقع الإمبراطور نفسه أسيرا في أيدي آلب أرسلان، و بذلك فقد كانت موقعة ملاذكرد هزّة عنيفة أصابت كيان الإمبراطورية البيزنطية فبينت ضعف هذه الأخيرة و نهاية دورها في الدفاع عن المسيحية ضد الإسلام[3].

2ـ التشكيلات السياسية:

– آسيا الصغرى فيها العديد من التشكيلات السياسية

– هناك آسيا الصغرى هناك إمارة طرابزون على البحر الأسود وعلى شمال غرب هناك إمارات صاروخان وقوره سي وإمارة عثمان، مع كل إمارات إسلامية وجدت قبائل مسيحية، الإمارات الصغرى تبحث عن مكان لها، فنتج صراع بين مختلف تلك الإمارات وأهمها إمارة آل عثمان

3ـ إمارات الغزاة في غربي الأناضول:

و لكن مثل الجهاد ما لبثت أن بعثت من جديد في الثغور إذ برح آسيا الصغرى في إثر المغول عدد من زعماء الدين ورؤساء الطرق الصوفية و نزلوا بلاد الأأناضول فأحيوا فكرة الجهاد ضد البيزنطيين في حين إشتغل هؤلاء في إستعادة سلطتهم على البلقان و هكذا إجتاح الأتراك غربي آسيا الصغرى و أقام الأمراء الغزاة دويلات مستقلة في مختلف المقاطعات فنزل القرمانيون في ليقاونية القديمة و إيسوريا ، و نزل الكرميانيون في كوتاهية و استقر
الحميديون في ميسية و الصاروخان في مغنيسية و لم يتم القضاء على هذه الإمارات نهائيا إلا عند ظهور العثمانيين [4].

4ـ إمارة آل عثمان:

– أوّل الأمور موقعها الإستراتيجي قريبة من منطقة الثغور – بيزنطا
– زعيمها عثمان كان قديرا استطاع أنّ يتفوق على غيره [5].

---

[2]- حسين مؤنس، **الشرق الإسلامي في العصر الحديث**، ط 2، مطبعة حجازي، القاهرة، 1938، ص 18 – 19
[3]- محمود محمد الحويري، **تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى**، ط 1، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2002، ص 23 – 24

[4]- كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص 406
[5]- محمد سهيل طقّوش، **تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة**، ط 3، دار النفائس، لبنان، 2013، ص 26

– كان عثمان تابعا للدولة السلجوقية (تأدية الضرائب)
– إمارة آل عثمان عوضا أن تتوسع على الآخرين توسّعت على حساب البيزنطيين ففي ذلك فوائد:
أ- جهاد ضدّ الكفر.
ب- غنائم مكسب مادي.

جـ ـ هناك فائدة أكثر يقال هذا التوجه أكسبه أهمية، وأدّى إلى توجّه أنظار العديد من سكان الإمارات الأخرى إليه، و العديد من الفئات الإجتماعية بدأت تنظر إليها أنها خليفة للدولة السلجوقية [6].

تأسيس الدولة العثمانية 1299م

1 ـ إمارة آل عثمان:

[6]- خليل إينالجيك، **تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الإنحدار**، تر: د. محمد، م. الأرناؤوط، ط 1، دار المدار الإسلامي، لبنان، 2002، ص 15

– من هؤلاء العلماء لأنها بدأت تلعب دور في الإسلام بتوسيع دار الإسلام على حساب دار الحرب.
– العلماء، رجال الدين بدؤوا يتوجهون لهذه الإمارة ويوازيهم المتصوّفة....
– هذه الإمارة إستقطبت العلماء ورجال التصوّف، الطرفين كان أثرهم كبير على عامّة النّاس فهم لهم صلة مباشرة مع عموم الناس.
– بدأت جموع الناس تزحف إتجاه إمارة آل عثمان (هم أولئك الأتراك)، هناك بعض العلماء العرب تبعهم عموم الناس أولهم الفلاحين (إزدهار الحياة الفلاحية)، تبعتهم فئة التجار مطلبون كثيرا في هذه المنطقة.....
– هذه التشكيلات يمكن القول أن مجال توافقها تمثل في طريقة تميز بها الأتراك حيث كانوا يعيشون في نظام نقابي ليسوا مشتتين، فشكلوا نفسهم في شكل نظام الأخيات [7].

2ـ نظام الآخيات:
– مفردها آخي أو الفتوة يقال كلمة آخي بالتركية تعني الكريم – ابن بطوطة في رحلته في القرن 14م زار تركيا في هذه المرحلة، و وصف هذه الآخيات في كتابه، الآخية موجودون بجميع البلاد التركمانية الرومانية، وفي كل بلد ومدينة وقرية يحتفلون بالغرباء، ويطعمون الطعام، ويقضون الحوائج ويساعدون المظلوم ويسمّون الفتيان ومقدّمهم آخي.
– هذا النظام نواة الترابط الإجتماعي فتكون القاعدة متماسكة، و بالتالي يسهل على السّلطة أن تسير الشؤون بحسب ما تريد.

– المساهمة التي ساعدت في طول مدة الدولة العثمانية أن القاعدة الإجتماعية كانت متماسكة[8].
– أهم مظهر من المظاهر التي ساعدت على نشوء الدولة (الآخيّات)، فكان أحد أهم العوامل المساعدة في ثبوت كيان الدولة العثمانية فساعدها في البقاء، مثل هذا النظام نجده في بلاد الأناضول والبلقان لا نجده في البلاد العربية الإسلامية [9].

3 ـ ظروف تأسيس الدولة:
– عرفت منطقة الأناضول في نهاية القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشرميلادي فترة فراغ سياسي، كان ناتجا عن حالة الإنهاك والإعياء الذي أصاب أكبر كيانين سياسيين متصارعين على النفوذ فيها وهن دولة سلاجقة الروم والدولة البيزنطية.
– أما دولة سلاجقة الروم فإن معركة (كوسة طاغ) سنة 1243م ضد المغول كانت بالنسبة لها بداية النهاية[10].
– أما الدولة البيزنطية فقد تحول صراعها مع المسلمين إلى صراع مع المسيحيين الكاثوليك، ومنذ الحملة الصليبية الرابعة بدأت هذه الأخيرة في تركيز جهودها وإهتمامها على شبه جزيرة البلقان وما وراء البلقان، أكثر من تركيز جهودها على خطر الإمارات الإسلامية التركية الناشئة على حسابها في الأناضول.

---

[7]- خليل إينالجيك، المرجع السابق، ص231 – 232

[8]- محمود محمد الحويري، المرجع السابق ، ص 28
[9]- كارل بروكلمان، المرجع السابق ، ص 408
[10]- محمود محمد الحويري، المرجع السابق ، ص30

– الضعف والتدهور الذي أصاب نظام الدولة من جراء كثرة الفتن والقلاقل الداخلية بين أفراد البيت الحاكم وكذلك الطبيعة الأرستوقراطية للحكم البيزنطي.
– من هذه المعطيات نقول أن كل الظروف كانت ممهدة لظهور دولة قوية تملأ الفراغ السياسي على أنقاض هذه الدول الهرمة والمتداعية إنها الدولة العثمانية [11].

أصل الأتراك العثمانيين

1ـ أصل الأتراك:
– إن قبيلة بني عثمان _ رعاة جيلين من أواسط آسيا (كازاخيستان أوزبيكستان) _ نزحت غربا و وصلت منطقة الأناضول نتيجة إكتساح " جينكيز خان" ملك المغول منطقة "ماهان" موطن القبيلة، والتي تركها "سليمان" جد عثمان المؤسس الأول للدولة العثمانية، قاصدا بلاد الروم حيث الدولة السلجوقية.
– كان لسليمان ثلاثة أولاد أشهرهم "أرطغرل" وقد آثر أخواه الرجوع إلى مواطنهم الأصلية، أما هو فقد إستأذن السلطان السلجوقي "علاء الدين" ملك "قونية" و " نيواس" في الدخول إلى بلاده طالبا منه موضعا يستوطن فيه هو وعشيرته، فلبى السلطان له طلبه وعيّن له جبال "طومانيج" و" جبالارمانك" والسهول التي بينها.
– نزل" أرطغرل" ومن معه وكانوا أربع مائة أسرة في مكان يدعى " قزد جه طاغ".
– يمكن اعتبار هروب قبيلة عثمان بفعل ضغط "المغول" في القرن الحادي عشر، جزءا من ظاهرة عامة شملت قبائل تركمانية أخرى لجأت إلى مناطق الثغور المشهورة عند جبال "طوروس" و " الفرات" التي فصلت لخدماته الحربية[12].

2 ـ مرحلة النشأة 1299 – 1402م:
– منح السلطان "علاء الدين" " أرطغرل" لقب "محافظ الحدود" الذي لم يقتنع به، فراح يهاجم باسم السلطان ممتلكات الدولة البيزنطية، بل صار يشترك مع السلطان في كل حروبه ضد البيزنطيين، حتى لقبت قبيلته بـ " مقدمة السلطان"، لوجودها دائما في مقدمة الجيوش السلجوقية.
– أثناء ذلك إستطاع "أرطغرل" أن يضم إلى منطقته مدينة "اسكي شهر" وأمام تدهور أوضاع دولة سلاجقة الروم، بعد وفاة السلطان "علاء الدين" وازدياد الفتن والاضطرابات، كان ذلك

إيذانا على إنهاء تبعية الإمارة العثمانية للدولة السلجوقية، وبداية استحواذ "عثمان" خليفة أرطغول على المقاطعات التي كانت تابعة للسلاجقة، متخذا "اسكيشهر" عاصمة له.

---

[11]- محمد سهيل طقّوش، المرجع السابق ، ص 24

[12]- إبراهيم حليم بك، **التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العليّة**، ط 1، مطبعة ديوان عموم الأوقاف، 1905، ص34

– بعد وفاة أرطغرل يظهر عثمان ينسب له العثمانيين فهو الذي أعطى أساس الدولة.
– في عهد عثمان (1326-1288م)، أخذت الإمارة تتوسع على حساب البيزنطيين والإمارات الإسلامية، مما مكنه من السيطرة على المنطقة الممتدة بين "اسكيشهر" و سهول " نيقية" و" بورصة" [13].

التوسع في المناطق المحيطة بحوض سقاريا وبحر مرمرة

1ـ التوسع في المناطق المحيطة بحوض سقاريا:
- ظل أرطغرل حليفًا للسلاجقة حتى أقطعه السلطان السلجوقي منطقة في أقصى الشمال الغربي من الأناضول على الحدود البيزنطية، في المنطقة المعروفة باسم" سُكُود "حول مدينة أسكي شهر.
- بدأت العشيرة هناك حياة جديدة إلى جانب إمارات تركمانية سبقتها إلى المنطقة وعلا شأن أرطغرل لدى السلطان بعد أن أثبت إخلاصه للسلاجقة، وأظهرت عشيرته كفاءة قتالية عالية في كل معركة ووجدت دومًا في مقدمة الجيوش وتمّ النصر على يدي أبنائها.
- أرطغرل كان ذا أطماع سياسية بعيدة، فلم يقنع بهذه المنطقة التي أقطعه إياها السلطان السلجوقي، ولا باللقب الذي ظفر به، ولا بمهمة حراسة الحدود والحفاظ عليها؛ بل شرع يهاجم باسم السلطان ممتلكات البيزنطيين في الأناضول، فاستولى على مدينة أسكي شهر وضمها إلى أملاكه، واستطاع أن يوسع أراضيه خلال مدة نصف قرن قضاها كأمير على مقاطعة حدودية، وتوفي وهو يحمل لقب "غازي" تقديرًا لفتوحاته وغزواته.

[13]- خليل إينالجيك، المرجع السابق ، ص89

- تولّى زعامة الإمارة بعد أرطغرل ابنه البكر عثمان، فأخلص الولاء للدولة السلجوقية على الرغم مما كانت تتخبط فيه من اضطراب وما كان يتهددها من أخطار.
- أظهر عثمان في بداية عهده براعة سياسية في علاقاته مع جيرانه، فعقد تحالفات مع الإمارات التركمانية المجاورة، ووجه نشاطه العسكري نحو الأراضي البيزنطية لاستكمال رسالة دولة سلاجقة الروم بفتح الأراضي البيزنطية كافة، وإدخالها ضمن الأراضي الإسلامية.
- شجعه على ذلك حالة الضعف التي دبت في جسم الإمبراطورية البيزنطية وأجهزتها، وانهماكها بالحروب في أوروبا، أتاح لعثمان سهولة التوسع باتجاه غربي الأناضول، وفي عبور الدردنيل إلى أوروبا الشرقية الجنوبية .
- إداريا أظهر عثمان مقدرة فائقة في وضع النظم الإدارية لإمارته، بحيث قطع العثمانيون في عهده شوطًا كبيرًا على طريق التحول من نظام القبيلة المتنقلة إلى نظام الإدارة المستقرة، مما ساعدها على توطيد مركزها وتطورها سريعًا إلى دولة كبرى .
- أبدى السلطان السلجوقي علاء الدين الثالث تقديره العميق لخدمات عثمان، فمنحه لقب *"عثمان غازي حارس الحدود العالي الجاه، عثمان باشا"* [14].

خريطة التشكيلات السياسية في آسيا الصغرى (الإمارات الإسلامية و البيزنطية)

2 ـ التوسع في المناطق المحيطة ببحر مرمرة:

– أقدم عثمان بعد أن ثبّت أقدامه في إمارته على توسيع حدودها على حساب البيزنطيين. في عام 1291م فتح مدينة " قره جه حصار" الواقعة إلى الجنوب من سُكُود، وجعلها قاعدة له، وأمر بإقامة الخطبة باسمه، وهو أول مظهر من مظاهر السيادة والسلطة.
– منها قاد عشيرته إلى بحر مرمرة والبحر الأسود، وحين تغلب المغول على دولة قونية السلجوقية، سارع عثمان إلى إعلان استقلاله عن السلاجقة ولقّب نفسه "پاديشاه آل عثمان" أي عاهل آل عثمان.

[14]- أحمد عبد الرحيم مصطفى، **في أصول التاريخ العثماني**، ط 2، دار الشروق، القاهرة، 1993، ص21 – 26

– ظلّ عثمان يحكم الدولة الجديدة بصفته سلطانًا مستقلاً حتى سنة 1326م (726هـ)، عندما احتل ابنه" أورخان " مدينة بورصة الواقعة على مقربة من بحر مرمرة، وفي هذه السنة توفي عثمان عن عمر يناهز السبعين عامًا، بعد أن وضع أسس الدولة.

– ترك عثمان الأول الدولة العثمانية، واستطاع أن يجد لدولته الناشئة هذه منفذًا على بحر مرمرة، واستطاع بجيشه أن يهدد أهم حاضرتين بيزنطيتين في ذلك الزمان وهي: أزنيق وبورصة [15].

(الرجوع إلى الخريطة)

خريطة مضيقي البوسفور والدردنيل و بحر مرمرة

3 ـ تشتت الدولة البيزنطية:

– بدأت المدن البيزنطية تسقط الواحدة تلو الأخرى بيد العثمانيين، فسقطت "بروصة" ونيقية" ونيقوميديا، وتذكر المصادر التاريخية أن سقوط المدن البيزنطية الثلاثة بيد العثمانيين لم يكن نتيجة تفوق حربي من جانب العثمانيين، بل كان مجرد تسليم من جانب البيزنطيين.

[15]- كارل بروكلمان، المرجع السابق ، ص 409

– لم يكن هذا التسليم إلا نتيجة إحساس سكان هذه المدن بأن الهيئة الحاكمة في القسنطنطينية لم تعد تهتم ببذل المساعدة للسكان، فكان من الطبيعي أن يستسلم أهلها وأن ينخرطوا في سلك العثمانيين.

ملاحظة:

1- الدولة البيزنطية هرمة بدأت في الضّعف.

2- لم تكن دولة موحدة كانت تتنازعها أسر (أرض الأناضول موزعة إلى إمارات) (3 إمارات بيزنطية أمام كلّ سلطة إمارات تركمانية (آل عثمان).

3- كان هناك صراع كبير، ففي الطرف البيزنطي نزاعات دينية الكاثوليك كانوا في نزاع مع أصحاب الكنيسة الأرثوذوكسية، هناك حملات صليبية توجّهت إلى بيزنطا (الحملة 4) اعتبروهم مارقين عن الدين المسيحي الحق.

4- كانت تسودها إختلالات في نسيجها الاجتماعي: الإقطاع، عدم المساواة بين الأسياد والطبقة العامّة لم تكن علاقة إتفاق.

– هذه الصّور الإقتصادية (طرق الحرير مقطوعة عرقلة إقتصادية بالإضافة إلى المظاهر الأخرى مشتتة) تقابلها وحدة في الصّف العثماني يدفعها وازع ديني هو الجهاد. هذا ما ساعد أنّه فعلا ليس تفوق عثماني على بيزنطي لكن التشتت عامل كان له دور في الفوز[16].

- و الملاحظ أن مع كل إنتصار للعثمانيين كان يأتي إلى صفوفهم غزاة آخرين، فازدادت الإمكانيات العسكرية لإماراتهم بأكثر مما تتحمله مواردها أو مساحتها فكان لزاما عليهم متابعة عملية الغزو لإشغال الغزاة، ولما كان المجال ضيقا وربما مستحيلا في منطقة الأناضول، لذلك تطلع العثمانيون إلى التوسع في أوروبا، وكان إستنجاد الإمبراطور "يوحنا السادس" بأورخان، خليفة عثمان، بداية الإجتياز والعبور إلى بلاد القارة الأوروبية، أو ما يعرف عند الأتراك العثمانيين "ببلاد الروم إيلي"

السياسة العثمانية في الأناضول

لقد بينت معركة مالذكرد أن الدولة البيزنطية ضعيفة يمكن التوغل في صفوفها، مما أدى بسلطان دولة السلاجقة آب أرسلان بفتح مجالا أمام الجماعات التركمانية التي تظلّ تفد على منطقة الأناضول الغرب بسبب الهجمات المغولية.

وبالتالي بدأت الدولة السلجوقية تنظم أحوال المناطق الأناضولية التي بيدها (فارغة)، وبتوطين تلك القبائل التي زحفت إلى الغرب (تنظيمهم)، فأعطى السلطان السلجوقي لإمارة آل عثمان منطقة قونية (في بلاد الأناضول) مما ساعدهم على الإقامة في آسيا الصغرى (الرجوع

[16]-أحمد سالم، **إستراتيجية الفتح العثماني**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2012، ص 22

إلى الخريطة).

بلاد الأناضول

1 ـ سقوط بروصة ونيقيا:

- بدأت المدن البيزنطية تسقط بيد العثمانيين (بروصا ونيفيا) وتذكر المصادر التاريخية أنّ سقوط المدن البيزنطية بورصة ونيقيا، لم يكن نتيجة تفوق حربي بل كان مجرّد تسليم من جانب البيزنطيين، نتيجة لإحساس سكان هذه المدن بان الهيئة الحاكمة في القسنطنطينية لم تعد تهتم ببذل المساعدة للسكان، فكان من الطبيعي أن يستسلم أهلها وأن ينخرطوا في سلك العثمانيين.
- ملاحظة هامّة إنّ كل إنتصار للعثمانيين كان يأتي إلى صفوفهم غزاة آخرين فإزدادت الإمكانيات العسكرية (لإمارتهم بأكثر ممّا تتحمّله فكان لزاما عليها متابعة عملية الغزو).
- نشوء إمارتهم: محاولة إعطاء دفع قوي للدولة لإقامة ركائز متينة.
- الناحية العسكرية: أنشأت فرق من الجيش لأنها منطقة خطيرة.
- الناحية الدينية: تزوج عثمان من إحدى بنات صفي الدين الأذربيلي.

2 ـ السياسة العثمانية في الأناضول:

– الدولة البيزنطية كانت دولة مشتتة وهي تواجه نوات لإمارة عثمانية في طور النمو.
– اضطر الأتراك العثمانيين إلى رفع شعار الجهاد لإخضاع الإمارات المسيحية.
– بهذه الطريقة عدد كبير منها انظم لإمارة آل عثمان حتى العلماء الذين كانوا في حواضر الأناضول إنسحبوا و إلتحقوا بآل عثمان.
– هناك من الإمارات من إلتحقت بهم عن طريق المصاهرة.
– وهناك من رفض الأمر الواقع فإستعملوا القوة ضدهم.

– إمارة السلاجقة أخضعت بالمصاهرة بعد موت السلطان علاء الدين [17].

العبور إلى البر الأروبي (الروملي)

1– أسباب العبور:

- عثمان تنسب إليه الدولة العثمانية أهم خليفة ابنه أورخان سيعطي لنا منطلقات في بناء الدولة العثمانية هو الذي سيسجّل لنا العبور إلى أوروبا.
- كانت العلاقات السياسية بين الدولة العثمانية و الإمبراطورية البيزنطية حسنة في عهد أورخان ويوحنّا السادس حاكم بيزنطا.
- في سنة 1355م استنجد الحاكم البيزنطي يوحنا السادس بأورخان ليساعده لصدّ هجوم خصمه ملك السّرب.
- لبى أورخان طلب النجدة و أكثر من ذلك فقد زوّجه الحاكم البيزنطي ابنته (على إثر هذا أجاب أورخان نداء النجدة).
- كل إنتصار للعثمانيين كان يأتي إلى صفوفهم غزاة آخرين، فإزدادت الإمكانيات العسكرية (لإمارتهم بأكثر ممّا تتحمّله فكان لزاما عليها متابعة عملية الغزو).
- كان هناك صراع كبير، ففي الطرف البيزنطي نزاعات دينية الكاثوليك كانوا في نزاع مع أصحاب الكنيسة الأرثوذوكسية، هناك حملات صليبية توجّهت إلى بيزنطا (الحملة 4) اعتبروهم مارقين عن الدين المسيحي الحق.
- الدولة البيزنطية كانت تسودها إختلالات في نسيجها الاجتماعي: الإقطاع، عدم المساواة بين الأسياد والطبقة العامّة لم تكن هناك علاقة إتفاق، تقابلها دولة فتية أخرى تمثل إرث الدولة الإسلامية دولة جهاد من خلال موقعها في الثغور(دولتان تعيشان في علاقات تارة ودية وتارة مضطربة).
- هذه الصّور الإقتصادية (طرق الحرير مقطوعة عرقلة إقتصادية، بالإضافة إلى المظاهر الأخرى المشتتة)، تقابلها وحدة في الصّف العثماني يدفعها وازع ديني هو الجهاد. هذا ما ساعد في التفوق العثماني على البيزنطي (عامل التشتت كان له دور في الفوز).

---

[17]- إسماعيل أحمد ياغي، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، ط 1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1996، ص20 –21

2 ـ العبور إلى البر الأروبي:

– كانت العلاقات السياسية بين الدولة العثمانية والإمبراطورية البيزنطية حسنة في عهد أورخان ويوحنّا السادس حاكم بيزنطا.

– في سنة 1355م استنجد الحاكم البيزنطي يوحنا السادس بأورخان ليساعده لصد هجوم خصمه ملك السّرب.

– لبى أورخان طلب النجدة و أكثر من ذلك فقد زوّجه الحاكم البيزنطي ابنته (على إثر هذا أجاب أورخان نداء النجدة)، وعبر الجيش العثماني إلى الساحل الأوربي.

– عبر الجيش العثماني إلى الساحل الأوروبي، هذا العبور جعل العثمانيين يدركون مدى الضعف الذي وصلت إليه الإمبراطورية البيزنطية، وأدركوا أهمية الساحل الذي نزلوا فيه.

– ومن هذا التاريخ بدأت الدولة تعد العدّة لتحقيق الهدف (التوسع قدر ما تستطيع على هذه الأملاك لهذه الدولة).

– إذ بعد عامين من العبور تمكن وليّ العهد سليمان ابن أورخان من العبور إلى الشاطئ الأوروبي، واستولى على قلعة فاليوبولي، وهي أوّل منطقة أوروبية تضاف إلى الدولة العثمانية (الرجوع إلى الخريطة).

– بورصة التي احتلّت في أيام أورخان حوّلت إلى عاصمة، والآن ظهر لهم أوّل عبور إلى القارة الأوروبية في أيام أورخان، هكذا إنتقلت الفتوحات العثمانية إلى القارة الأوروبية المسيحية، بعد أن كانت حروبها السّابقة داخل شبه جزيرة الأناضول.

– هذا ما أكسب العثمانيين إعجاب وتقدير العالم الإسلامي، ومهّد لهم الطريق لإفتكاك الشرعية التي سوف تمكّنهم من قيادة العالم الإسلامي [18].

[18]- إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق ، ص36 –37

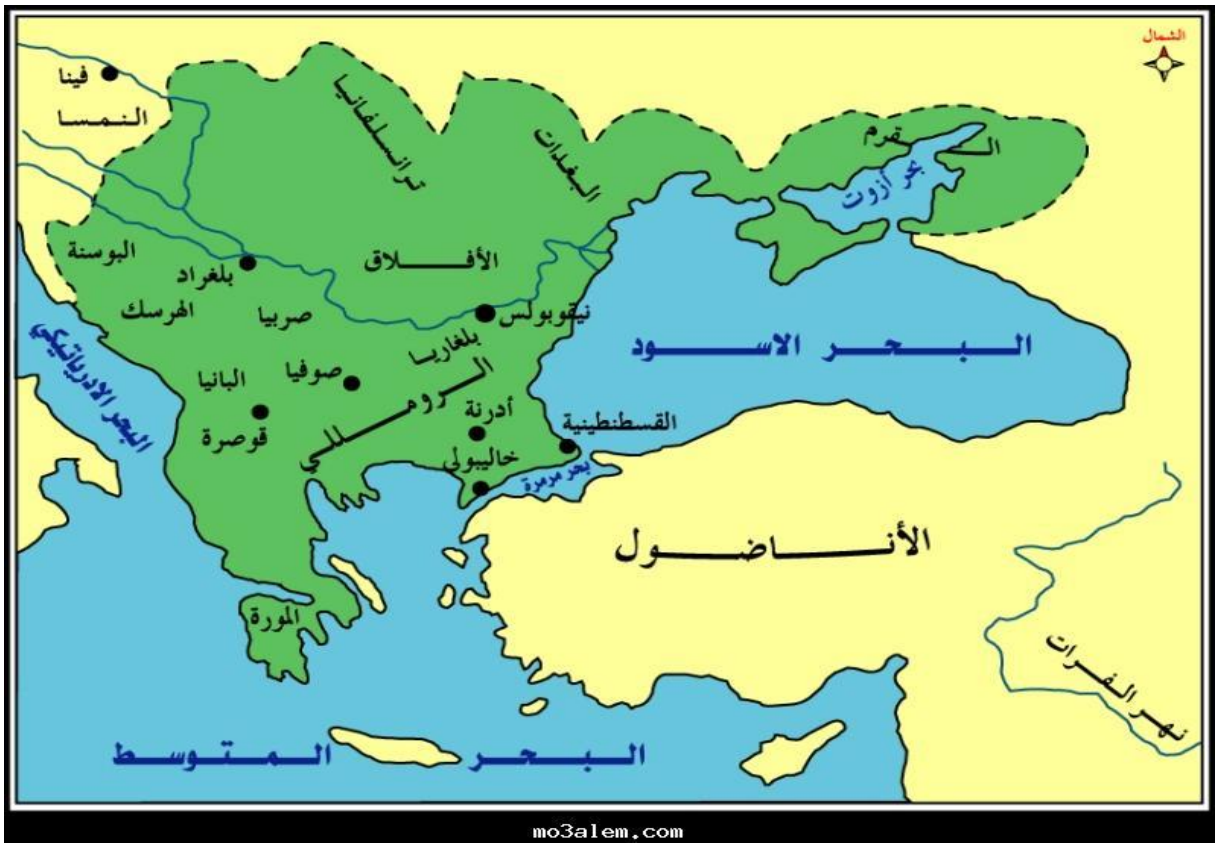

العبور إلى البر الأروبي (الروملي)

3 ـ عوامل النجاح في العبور إلى البر الأ روبي:

– اتفق العديد من المؤرّخين و المثقفين بأنّ أورخان كان له الدور الأكبر في بناء الدولة العثمانية.

– إستغل أورخان الأوضاع الداخلية التي تعيشها أوروبا في تلك الحقبة التاريخية.

– إستغل وضعا آخر هو إنتشار الوباء الذي كان سائدا في أوروبا، والذي كان من أسباب إنشغال الممالك الأوروبية عن الأخطار المحدّقة بالبيزنطيين في الشرق، زيادة على هذا فإن الوباء كان وراء إنقطاع المواصلات بين الغرب والشرق، حتى أنّ الكثير من المؤرخين اعتبروه من أهم حلفاء أورخان.

- ومن الأمور الأخرى التي إستغلها أورخان الصّراع الدّموي الذي استفحل بين الإمبراطوران البيزنطيان المتنافسان، يوحنا الخامس ويوحنا السادس الذي استنجد بأورخان.

- أول عمل قام به أورخان عندما إنتقل إلى أوروبا كان نقل عدد كبير من مسلمي الأناضول إلى القارة الأوروبية، لا سيما البدو منهم الذين في إمكانهم التوطن والتأقلم بسهولة في أي مكان.

- وقد استمر العثمانيون ينتهجون هذا الأسلوب في كلّ البلاد التي كانوا يفتحونها في الرّوم إيلي(بلاد الروم)، هذه صفة ثانية ساعدت الدولة العثمانية على الإستيلاء على بلاد الروم وهي التوطين (النقل و التموطن).

- إستمرت الفتوحات العثمانية في القارة الأوروبية بعد أورخان (الإنكشارية كان تكوينها في عهد السلطان أورخان تحت تأثير مستشار قوي اقترح الفكرة و هو خير الدين جندرلي، كما ضرب أورخان الصّكة للدولة العثمانية) [19].

[19]- كارل بروكلمان، المرجع السابق ، ص413 – 414

السياسة العثمانية في المناطق المفتوحة بأوربا

مع كل إنتصار للعثمانيين كان يأتي إلى صفوفهم غزاة آخرين، فازدادت الإمكانيات العسكرية لإماراتهم بأكثر مما تتحمله مواردها أو مساحتها، فكان لزاما عليها متابعة عملية الغزو لإشغال الغزاة، ولما كان مجال ذلك ضيقا وربما مستحيلا في منطقة الأناضول، تطلع العثمانيون إلى التوسع في أوروبا، وكان إستنجاد الإمبراطور" يوحنا السادس بأورخان"، خليفة عثمان، بداية الإجتياز والعبور إلى بلاد القارة الأوروبية، أو ما يعرف عند الأتراك العثمانيين "ببلاد الروم إيلي".

كانت العلاقات السياسية بين الدولة العثمانية والإمبراطورية البيزنطية في عهد أورخان و" يوحنا السادس" حسنة، إذ في سنة 1355م استنجد هذا الأخير بـ "أورخان" ليساعده لصد هجوم حربي بقيادة ملك الصرب الذي استولى على بلاد البلغار ثم زحف نحو القسنطنطينية، على أن يزوجه ابنته فأجابه أورخان إلى طلبه، وعبر الجيش العثماني إلى الساحل الأوروبي، ولكنه لم يلبث أن عاد دون قتال نظرا لموت ملك الصرب.

كان هذا العبور إلى الشاطئ الأوروبي فرصة جعلت العثمانيين يدركون مدى الضعف الذي وصلت إليه الإمبراطورية البيزنطية وبأهمية هذا الساحل الإستراتيجية، ومن هذا التاريخ بدأت الدولة العثمانية تعد العدة لتحقيق الهدف، إذ بعد عامين من العبور الأول تمكن ولي العهد "سليمان" من العبور إلى الشاطئ الأوروبي بجيش بلغ تعداده ثلاثون ألف مقاتل، حيث استولى على قلعة "غاليبولي"، فكانت أول منطقة في قارة أوروبا تضم إلى الدولة العثمانية.

وهكذا إنتقلت الفتوحات الإسلامية العثمانية إلى القارة الأوربية المسيحية بعد أن كانت حروبها السابقة داخل شبه جزيرة الأناضول، فتبدأ صفحة جديدة من الإنتصارات ضد الإمبراطورية البيزنطية والدول الأوروبية، مما أكسب العثمانيين إعجاب وتقدير العالم

الإسلامي ومهد الطريق لإفتكاك العثمانيين الشرعية التي سوف تمكنهم من قيادة العرب والمسلمين لحقبة زمنية طويلة لم تصلها أية دولة إسلامية من قبل.

إستغل "أورخان" الأوضاع الداخلية التي تعيشها أوروبا في تلك الحقبة التاريخية لترسيخ وتدعيم التواجد لعثماني على الأرض الأوروبية، وكان على رأس هذه الأوضاع إنتشار الوباء في أوروبا، والذي كان من أسباب إنشغال الممالك الأوروبية عن الأخطار المحدقة بالبيزنطيين في الشرق، زيادة على هذا فإن الوباء كان وراء إنقطاع المواصلات البحرية بين الغرب والحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، حتى أن الكثير من المؤرخين شبه الوباء بأنه من أهم حلفاء "أورخان" لبسط سيادته ونفوذه، وكان أول عمل قام به "أورخان" أنه نقل أعداد كبيرة من مسلمي الأناضول إلى القارة الأوروبية، لا سيما البدو منهم الذين في إمكانهم التوطن والتأقلم بسهولة في الأرض الجديدة، وقد إستمر العثمانيون ينتهجون هذا الأسلوب في كل البلاد التي كانوا يفتحونها في " الروم إيلي" [20].

1 ـ فتح مدينتي " أنقرة " و " أدرنة ":

- استمرت الفتوحات العثمانية في القارة الأوروبية بعد أورخان وكان ذلك في عهد ابنه مراد الأول الذي يعيش من 1360 إلى 1389م (حوالي 29 سنة).
- مراد الأول سيعطي للدولة العثمانية إمكانيات فتح مدينة أنقرة وفتح أدِرنة (Adrianople) في القارة الأوروبية ذات الأهمية الإستراتيجية العظيمة، والتي كانت تعدّ المدينة البيزنطية الثانية بعد القسنطنطينية (الرجوع إلى الخريطة).

[20]- أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق ، ص45 – 47

فتح مدينة أنقرة

- اتخذت أدرنة عاصمة للعثمانيين لتكون في أوروبا قريبة من ميادين القتال (الرجوع إلى الخريطة).

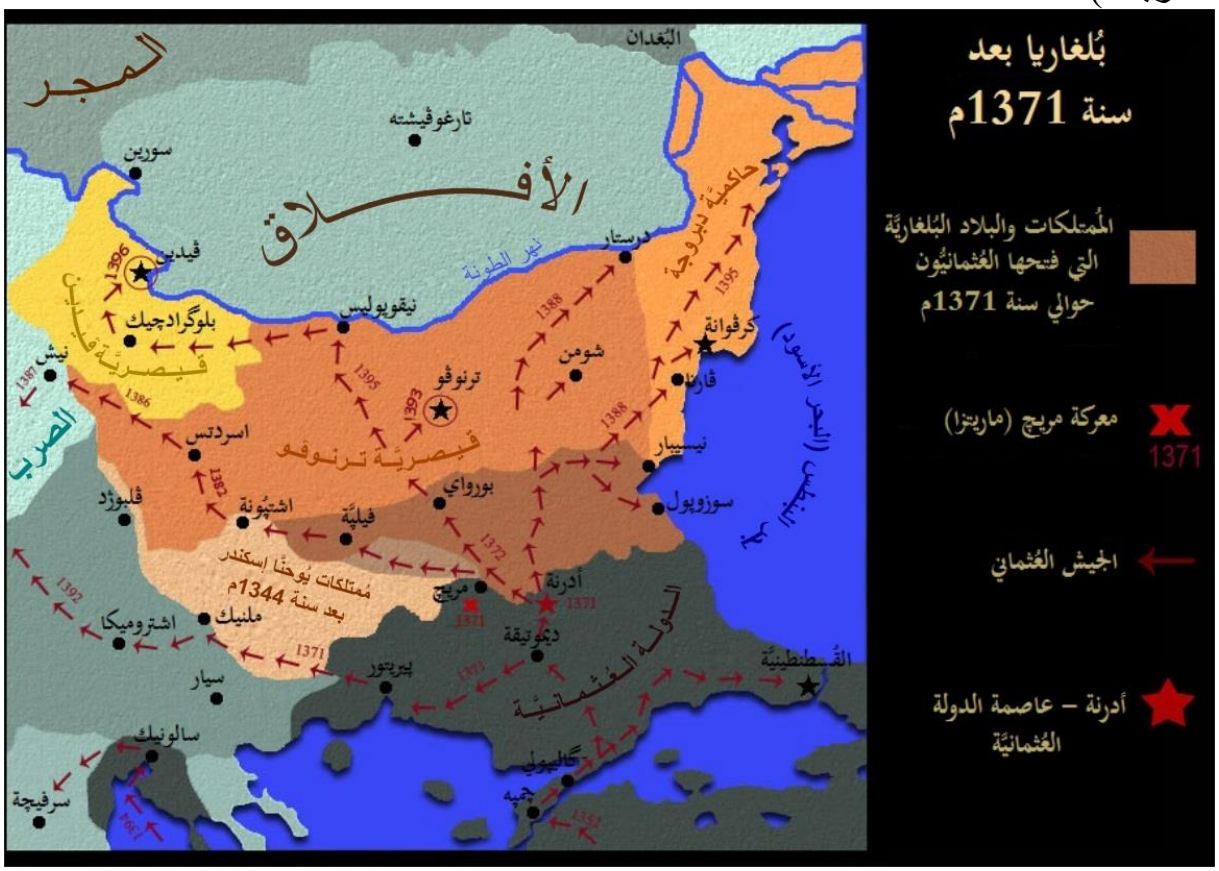

أدرنة عاصمة للعثمانيين

- رغم التحالف الأوروبي بقيادة البابا أوربان الخامس لإستعادة المدينة إلاّ أن القوات الأوروبية المتحالفة هُزمت أمام الجيش العثماني.
- على إثر هذه الهزيمة في 1363م وقعت بلغاريا في أيدي العثمانيين.
- ففتح ذلك أمامهم المجال لفتح صوفيا ونيش ما بين سنوات 1385 و 1386م.

2 ـ السياسة العثمانية في المناطق المفتوحة بأوربا :

إن نجاح العثمانيين السريع لا يكمن في الإنتصارات العسكرية قدر ما يكمن في مختلف الأساليب التي استخدموها لتحقيق تلك الإنتصارات، والتي مكنتهم في ظرف زمني قياسي من التحول السريع من قبيلة متنقلة باحثة عن الكلأ والمرعى إلى إمارة مستقرة ثم إلى دولة ومنها إلى إمبراطورية كبرى مترامية الأطراف، إمتدت أقاليمها في آسيا و أوروبا و إفريقيا، وأضحت من أكبر الدول الإسلامية التي شهدها التاريخ، و هذا بفضل السياسة التي إنتهجتها هذه الدولة في المناطق المفتوحة بأوربا و التي يمكن إجمالها في:

- الناحية الدينية: إتخاذ العثمانيين الدين الإسلامي ومبادئه نبراسا ومرجعا لحكمهم وهذا من خلال سياسة التسامح والعدل التي انتهجوها تجاه مختلف الشعوب الأوروبية، فقد قدموا لهم أمثلة صادقة وحية تمثل سماحة الإسلام وعظمة المسلمين، وكانت النتيجة إقبال الكثير من المسيحيين على الدخول في الدين الإسلامي، بالإضافة على ما أثاره الإسلام في نفوس العثمانيين أنفسهم من وحدة العقيدة وتعبئتهم بشعور ديني فياض.

– لقد اكتسبت الدولة العثمانية هذه الهالة الدينية من خلال الدور الريادي الذي لعبته منظمات الأخيات و "الفتوة" في منطقة الأناضول، في تحفيز التوسع العثماني وجعله يتخذ شكل حرب مقدسة، خاصة هذه المنظمات كانت تتمتع بنفوذ واسع وقوي ومؤثر في هذه المنطقة، مما أوصلها في بعض الأحيان إلى تسلم الحكم.

– تقوت الدولة العثمانية أيضا في الوسط الإسلامي من خلال سياسة التقرب لرجال الطرق الصوفية والتودد لهم، وأثمرت هذه السياسة بعد اللقاء التاريخي الذي جمع "عثمان" و "الشيخ أده بالي" الذي انتهى إلى ارتباط عثمان بإبنة الشيخ، وقد قلده الشيخ سيف الجهاد في سبيل الله

وبذلك قويت حركة العثمانيين روحيا، وأصبح لها دعاة مهمتهم تقوية الروح المعنوية لأفراد الجيش العثماني، وقد حافظ خلفاء "عثمان" على علاقة الإرتباط والود مع رجال الطرق الصوفية الذين استخدموا كوسائط بين هؤلاء السلاطين والرعية، لأنهم أدركوا أن في حالة فض الإرتباط فإنهم يفقدون تلك الشرعية التي أكسبها إياهم رجال الطرق الصوفية.

– الموقع الجغرافي: يذكر الأستاذ عمر عبد العزيز ، "...أنه من الثابت في تاريخ الأناضول أن الإمارات التي نشأت على الحدود كانت أوفر نصيبا في عوامل النمو والتطور من إمارات الداخل، التي لم يكن باستطاعتها أن تتطور وتنمو بنفس السرعة التي تطورت ونمت بها إمارات الحدود..."، وهذا يعني أن العامل الجغرافي كان له الدور الفعال في نمو الإمارة العثمانية، ذلك أنها قد نشأت في الجزء الشمالي الغربي لشبه جزيرة الأناضول على الحدود بين العالمين المسيحي والإسلامي، وقد فرض عليها هذا المواقع سياسة حربية معينة، متمثلة في التوسع على حساب "دار الكفر" حفاظا على كيانها بين القوى المحيطة بها، ويذهب إلى هذه الفكرة أيضا المؤرخ " بارنارد لويس" بقوله "...فإن موقعهم في أقصى الغرب على حدود الإقليم البيزنطي وعلى مقربة من القسطنطينية أعطاهم أهدافا كبرى وفرصا عظمى، وسبب في إنجذاب العون والمتطوعين من جميع الأناضول..".

– العامل العسكري: سهلت عليهم طرقهم في الحرب إحراز النصر فهم ليسوا في حاجة لزمن طويل للإستعداد للهجوم، ولذلك كان من الصعب على العدو تحديد الوقت الذي يقومون فيه بالهجوم، وتحديد الجهة التي يهاجمونها، فقد تعودوا على الإغارة والرحيل والتخلص من الحمل الثقيل الذي يعرقل عملية الكر والفر، هذا الأسلوب القتالي إعتمده العثمانيون في بداية أمرهم،

ولما شيدوا الدولة كان لزاما عليهم خلق جيش نظامي يكون طوع أمرهم يحمي أراضي الإمبراطورية المترامية الأطراف، فاهتموا بتأسيس الجيش الإنكشاري، ذلك الجيش الذي كان محل إعجاب الكثير نتيجة الإنضباط والتنظيم والقوة، وكان بمثابة العمود التي تعتمد عليه أسس الإمبراطورية، فقد كان وراء كل الإنتصارات الباهرة والساحقة التي حققها العثمانيون في أوروبا وآسيا وإفريقيا.

– قوة السلاطين: تميزت شخصية السلاطين العثمانيين الأوائل بمواصفات وخصائص فريدة من نوعها منها القدرة على التخطيط والحركات العسكرية المحسوبة والمدروسة التي كانت تستهدف

كل منها هدفا معينا، فقد كانوا أنفسهم يقودون الجيوش في مختلف المعارك والمواقع العسكرية، التي كانت تخوضها الدولة العثمانية ضد جيرانها من الدول الأوروبية و الدول الإسلامية، وهذا الأمر كانت له إنعكاسات إيجابية على المقاتلين.

– سياسة أخرى كانت وراء الإندفاع العثماني القوي على مسرح الأحداث التاريخية هي إعتماد العثمانيين أسلوبا مغايرا وفريدا من نوعه في التعامل مع أهل البلاد المفتوحة، فقد أنشا العثمانيون إدارة مركزية بدلا من المركزية الإقطاعية البيزنطية القديمة، زيادة على إتخاذهم لإجراءات تنظيمية عامة، بدلا من الضرائب المجحفة التي سلطت على طبقة الفلاحين، وبذلك وفرت الإدارة العثمانية الحماية للفلاح ضد إستغلال السلطات المحلية، أما موقفهم من الطبقات النبيلة والعسكرية الوطنية، فباستثناء أولئك الذين أشهروا السلاح في وجههم، فقد أدخلوا أفرادها في خدمتهم العسكرية والمدنية وتمتعوا بنفس الإمتيازات والحقوق التي تمتع بها الأتراك أنفسهم.

أ- أرطغرل بك

من المتفق عليه أن قبيلة آل عثمان وصلت منطقة الأناضول نتيجة إكتساح " جنكيز خان" ملك المغول منطقة "ماهان" موطن القبيلة، والتي تركها "سليمان شاه" جد عثمان المؤسس الأول للدولة العثمانية، قاصدا بلاد الروم حيث الدولة السلجوقية.

كان لسليمان ثلاثة أولاد أشهرهم "أرطغرل" وقد آثر أخواه الرجوع إلى مواطنهم الأصلية أما هو فقد إستأذن السلطان السلجوقي "علاء الدين" ملك "قونية" و "سيواس" في الدخول إلى بلاده، طالبا منه موضعا يستوطن فيه هو وعشيرته، فلبى السلطان له طلبه وعيّن له جبال "طومانيج" والسهول التي بينها، فنزل " أرطغرل" ومن معه وكانوا أربع مائة أسرة في مكان يدعى " قرة جه طاغ".

منح السلطان "علاء الدين" " أرطغرل" لقب " محافظ الحدود" الذي لم يقتنع به، فراح يهاجم باسم السلطان ممتلكات الدولة البيزنطية، بل صار يشترك مع السلطان في كل حروبه ضد البيزنطيين، حتى لقبت قبيلته بـ " مقدمة السلطان"، لوجودها دائما في مقدمة الجيوش السلجوقية.

1 ـ نسـبـه:

– الأميرُ الغازي أرطُغرُل بك بن سُليمان شاه القايوي التُركماني، أو اختصارًا أرطغرل ومعنى الإسم بالتركية الرجل العقاب أو الجندي العقاب أو الطير الجارح البطل، المولود حوالي عام 1191م.

– هو والد السلطان عثمان الأول مؤسس الدولة العثمانية، وهو أيضا قائد قبيلة قايى من أتراك الأوغوز.

– ينحدر أرطغرل من القبيلة الأولى من قبائل الأوغوز البالغة 24 قبيلة، ومن عائلة بكوات عشيرة قايى التي تُعد سلالة خاقانية، ومن المعلومات المؤكدة أيضا أن أباه

وأجداده هم بكوات (أمراء) هذه العشيرة، ومذهب القبيلة والأسرة هو حنفي من أهل السنة والجماعة.

– وفقا للتراث العثماني فإن أرطغرل كان ابن سليمان شاه التركماني، شاه معناه مِلِك وإذا جاء بعد الإسم فإنه يعني السيد زعيم قبيلة قايى من أتراك الأوغوز الذين نزحوا من شرق إيران إلى الأناضول هرباً من الغزو المغولي[21].

2 ـ سـيـرتـه:

كان أرطغرل بن سليمان شاه قائداً لإحدى قبائل الترك النازحين من سهول آسيا الغربية إلى بلاد آسيا الصغرى(الأناضول)، و عندما كان راجعاً إلى بلاد العجم بعد موت أبيه

الذي غرق عند اجتيازه نهر الفرات على بعد 250 كلم جنوب غربي مدينة ماردين التركية، شاهد أرطغرل جيشين مشتبكين فوقف يشاهد هذا المنظر المألوف لدى الرُحّل من القبائل

[21]- كارل بروكلمان، المرجع السابق ، ص407 – 408

الحربية، ولمّا أصاب الضعف أحد الجيشين وتحقق انكساره، دَبّت عند أرطغرل النخوة الحربية ونزل هو وفرسانه مسرعين لنجدة أضعف الجيشين، وهاجم الجيش الثاني بقوّة وشجاعة عظيمتين حتى وقع الرعب في قلوب الذين كادوا يفوزون بالنصر، لولا هذا المدد الفجائي، وأَعمَلَ فيهم السيف والرمح ضرباً ووخزاً حتى هزمهم شرّ هزيمة.

بعد تمام النصر، عَلِم أرطغرل بأن الله صخره لنجدة جيش الأمير علاء الدين كيقباد الأول 616-634 هـ / 1219-1237م سلطان قونية، إحدى الإمارات السلجوقية التي تأسست عقب انحلال دولة آل سلجوق بموت السلطان ملكشاه في 10 شوّال 485 هـ الموافق 18 نوفمبر 1092م، فكافأه الأمير علاء الدين كيقباد الأول على مساعدته له بإقطاعه عدة أقاليم ومدن، وصار لا يعتمد في حروبه مع مجاوريه إلا على أرطغرل ورجاله. وكان عقب كل انتصار يُقطعه أراضٍ جديدة ويمنحه أموالاً، ثم لقَّبَ قبيلته" بمقدمة السلطان" نظراً لوجودها دائمًا في مقدمة الجيوش وتمام النصر على يديه.

3 ـ تـــوســعـاتـــه:

– شارك أرطغرل في حروب السلاجقة ضد المغول وقام بهجمات على الأراضي البيزنطية. ونتيجة لمساعدته لسلاجقة الروم في حروبهم ضد البيزنطيين، تلقى أرطغرل أراضي في منطقة جبلية بالقرب من أنقرة من سلطان السلاجقة التركمان علاء الدين السلجوقي الذي منح أرطغرل هذه الأرض بمثابة هدية، مقابل أن يخمد أرطغرل بقواته أي ثورة في المنطقة يقوم بها بقايا البيزنطيين أو أي جماعة أخرى.

– في هذه الفترة إستطاع " أرطغرل" أن يضم إلى منطقته مدينة " أسكي شهر" أو سكود حيث قام أرطغرل بضم قرية سكود (أو سوغوت) قرب كوتاهية التي غزاها عام 1231م إلى الأراضي التي كانت تحت سيطرته مكوناً إقطاعية خاصة به. أصبحت قرية سكود عاصمة الدولة العثمانية عام 1299م تحت حكم ابنه السلطان عثمان الأول.

– أمام تدهور أوضاع دولة سلاجقة الروم، و بعد وفاة السلطان "علاء الدين" وازدياد الفتن والاضطرابات، كان ذلك إيذانا على إنهاء تبعية الإمارة العثمانية للدولة السلجوقية.

– استطاع إمداد توسعاته إلى قونية ثم زحف غربا وإستقر في منطقة الأناضول وأقام إمارة صغيرة إلى جانب سلطنة سلاجقة الروم.

– كان تعداد القبيلة أيام أرطغرل حوالي 400 خيمة، لا يحتمل أن يزيد عددهم على 4000 شخص بما فيهم من النساء والأطفال، وهؤلاء هم الذين كوّنوا نواة الدولة، بالإضافة إلى الذين انضموا لهم فيما بعد من التركمان الذين قدموا عندما اتسعت رقعة الأراضي التي فتحها أرطغرل غازي خلال نصف قرن، كما أصبح من بين رعاياه مسيحيون (روم) نتيجة الفتوحات.

– غالبا ما يُشار إلى أرطغرل وإلى ابنه عثمان وإلى نسلهما من سلاطين الدولة العثمانية، باسم " غازي" أي مقاتل بطل ومجاهد في سبيل رفع كلمة الإسلام.

4 ـ أبـــنـــاؤه:

كان لأرطغرل ثلاثة أبناء، هم:

– كندز بك، صاووجي بك، عثمان، الذي أسس الدولة العثمانية، وهو أصغر أبناء أرطغرل.

– عهد أرطغرل بابنه عثمان إلى الشيخ " إده بالي" كي يعلمه ويرشده طوال حياته ويربيه معنوياً، فكان عثمان يذهب إلى شيخه دائمًا باستمرار ويسأله الدعاء.
– اتفقت الآراء على أن " عثمان غازي" بن أرطغرل أصبح أميراً على القبيلة، فتابع مسيرة أبيه في استمرار الفتوحات ضد البيزنطيين بدلا من التناحر مع قبائل التركمان المجاورة عقب سقوط الدولة السلجوقية، فقام بإيصال مساحة الأراضي من بعد والده أرطغرل من 4800 كلم^2 إلى 16000 كلم^2، فأسس عثمان غازي بن أرطغرل الدولة العثمانية في عام 1299م، وكان مركزها وعاصمتها مدينة سكود، وقد ضربت أول عملة في عهده.
– أوصى أرطغرل غازي ابنه عثمان بوصية طويلة قيّمة، يحثه فيها بضرورة الاهتمام بأولياء الله من العلماء كشيخه " إده بالي "، وهناك جزء صغير من تلك الوصية مكتوب الآن عند قبر أرطغرل وهو الجزء الذي يحثه فيه على عدم عصيان الشيخ.

5 ـ إزدياد قوة أرطغرل:
– مع مرور الوقت، انضم أرطغرل إلى أمراء الحدود (أو قادة الجبهات) الآخرين من ذوي الخبرة، وأصبح " أمير منطقة حدود".
– إن قواته في ذلك الوقت كانت تعتمد على الخيّآلة.
– ظل أرطغرل" أمير منطقة حدود " في خدمة السلاطين السلاجقة، و إستمر ولاء أرطغرل للسلاطين السلاجقة المتعاقبين، وأعلن ولائه للسلطان غياث الدين كيخسرو الثالث، وقدم له هدايا عندما زار الحدود الغربية مع بيزنطة عام 1279م، وبعد هذا التاريخ سلّم أرطغرل قيادة قبيلة قايى إلى ابنه عثمان، ثم توفي بعدها بأعوام قليلة.

6 ـ وفـــاتـــه:
– لما توفي أرطغرل سنة 687 هـ (1288م)، قام الأمير علاء الدين كيقباد الثالث بتعيين عثمان بن أرطغرل أصغر أولاد أرطغرل مكان والده، وظل عثمان مخلصاً للدولة السلجوقية حتى سقطت، فقام بتأسيس الدولة العلية العثمانية .

– توفي أرطغرل غازي وعمره أكثر من 90 عاما، ويوجد له قبر حالياً في مدينة سكود بناه له ابنه السلطان عثمان غازي بن أرطغرل.
– تختلف الروايات في تحديد تاريخ وفاة أرطغرل غازي:
المشهور أن أرطغرل غازي توفي عام 1281 أو 1282م في مدينة سكود بعد سنوات قليلة من تسليم قيادة قبيلة قايى إلى ابنه عثمان، وتشير مصادر أخرى إلى أن تاريخ وفاته كان في 1288 أو 1289م.

عصر السلاطين الأوائل
ب- عثمان الأول

توفي أرطغرل و خلفه عثمان و كان أميرا شابا فياض الحيوية و النشاط، قاد قومه إلى الحرب و التوسع في كل ناحية حتى قضى خلال سنوات قلائل على ما كان قد بقي لسلاجقة الروم من قوة، و مد نفوذه على آسيا الصغرى كلها و نقل عاصمته إلى بروصة قرب ساحل بحر مرمرة، و عثمان هو الذي أقام دولة قومه على أساس متين من التنظيم العسكري و شق لهم الطريق إلى المجد، فأصبحوا من ذلك الحين يعرفون بآل عثمان أو الأتراك العثمانيين.....

1 ـ مولده و نسبه:

- وُلد عُثمان الأوَّل أو "عُثمان غازي" يوم 8 صَفَر 656هـ المُوافق 1258م، في مدينة سُكود التي اتخذها والده عاصمةً لِإمارته، وهو اليوم نفسه الذي اجتاحت فيه جحافل المغول مدينة بغداد و قضت عن معالم العُمران والحضارة فيها.
- عُثمان كان أصغر أولاد أرطُغرُل سنًا، و قيل بأنَّ ولادته حدثت في ليلةٍ بدراء (ظهر فيها البدر)، كما ذكر أنَّ والدته هي حليمة خاتون. نشأ نشأة فتيان قبائل التُرك المُرتحلة، فتعلَّم المُصارعة والمُبارزة بالسيف في صغره، كما تعلَّم رُكوب الخيل والرمي بالنبال والصيد بالعُقبان، فكان أمهر إخوته في هذا المجال.
- تعلَّم مبادئ الدين الإسلامي، وتقرَّب من مشايخ الصُوفيَّة وتأثر بهم، وفي مُقدمتهم مُعلِّمه الشيخ «إده بالي»، فانعكس ذلك على شخصيَّته وأُسلوب حياته.
- أمَّا من حيثُ النسب، فإنَّ الرواية الكلاسيكيَّة الأكثر شُيوعًا وانتشارًا تُفيد بأنَّ عُثمان هو حفيد «سُليمان شاه» الذي قضى نحبه غرقًا أثناء عُبوره نهر الفُرات بِحصانه[22].

---

[22]- سليمان بن خليل بن بطرس جاويش، **التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية**، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة، 2014، ص27

تُشيرُ جميع المصادر التاريخيَّة أنَّ أرطُغرُل أطلق على ولده الأصغر اسم «عُثمان» تيمُنًا بالخليفة الراشد الثالث عُثمان بن عفَّان، أحد الصحابة المُقربين من الرسول مُحمَّد صلى الله علبه و سلم ومن العشرة المُبشرين بالجنَّة وفق المُعتقد الإسلامي السُني تحديدًا.

3 ـ زوجاته وأولاده:

تزوَّج عُثمان « مال خاتون » ابنة «الشيخ إده بالي» حوالي سنة 1280م، فولدت لهُ أورخان. وتُشير بعض المصادر أنه تزوَّج أيضًا بامرأةٍ أُخرى تُدعى «رابعة بالا خاتون»، وهي والدة ابنه البكر علاء الدين باشا. أمَّا الأولاد فقد أنجب عُثمان ثمانية: سبعة أبناء وبنتٌ واحدة، وهم: أورخان بك، وباظارلي بك، وچوبان بك، وحميد بك، وعلاءُ الدين باشا، ومالك بك، وصاووجي بك، وفاطمة خاتون[23].

4 ـ صفاته و خِصاله:

- يُعرف عن عُثمان الأوَّل أنهُ عاش حياةً بسيطةً بعيدةً عن البذخ واللهو والسفاهة. وقد عاش من عائد إنتاج أغنامه الخاصَّة (حليب، ولبن، وجبن...إلخ). وكان يعتبر أنَّ الأموال والغنائم من حق الناس أجمعين وليست حكرًا على الأُمراء، فلم يُعرف عنه أنَّه اغتصب شيئًا بالقُوَّة طيلة حياته، وهي أيضًا تعكسُ مدى تأثُره بالتعاليم الإسلاميَّة وبعض العادات والتقاليد والخُصوصيَّات التُركيَّة البدويَّة القديمة التي كانت لا تسمح بالاسئثار بالضروريَّات.
- كان عُثمان مُلتزمًا بتطبيق العادات والتقاليد التُركيَّة القديمة التي احتفظ بها التُرك لِعدم تعارضها مع الشريعة الإسلاميَّة.
- كان رجلًا قنوعًا جدًا، ومُحبًا للعطاء وليس الأخذ. ومن عاداته أنه كان يهب أصحاب الحاجة كُل ما يغنمه في الغزوات. ومن أبرز خصال عُثمان الأوَّل على سبيل المِثال، إطعامه كُل من يكون في بيته وقت العصر، دون تمييزٍ بين غنيٍّ وفقير، وبين مُسلم أو مسيحي.

- اتصف بالتسامح الكبير مع غير المُسلمين على الرُغم من حماسته الدينيَّة، فاستقطب بذلك الكثير من الروم الذين اعتنقوا الإسلام على يديه.
- اشتهر عُثمان بتعامُله اللينّ مع الأهالي المسيحيين للبلدات والقلاع التي فتحها، بما فيهم جُنود الحاميات، حيثُ كان يأمر بإعتاقهم الإسلام لو ثبت إخلاصهم، كما تولَّى رعاية الأرامل والأيتام الروم ومنحهم العطايا وغنائم غزواته كما كان يفعل مع أبناء قبيلته، وأظهر رفقًا بِكبار السن خُصوصًا، مما كان دافعًا لِكثيرٍ منهم على اعتناق الإسلام.
- تمتَّع بِعبقريَّةٍ استراتيجيَّة وبِبُعد نظرٍ عميق، حيثُ وجَّه فُتوحاته إلى البيزنطيين باعتبار أنَّ كُلَّ فتحٍ يناله منهم سيزيد من قوَّته وسُمعته في الأوساط الروميَّة، ومن شعبيَّته في الأوساط الإسلاميَّة، كما أنه في نفس الوقت تحاشى بكُل جُهده التصادم مع جيرانه المُسلمين المُحيطين

[23]- محمد سهيل طقّوش، المرجع السابق ، ص 27

به، كي لا يقع اقتتال بين أبناء الدين الواحد من جهة، ومن جهةٍ أُخرى كي يستثمر كامل طاقاته في حرب الروم.
- وضع أُسس دولةٍ استوحى نُظمها من السلطنة السُلجوقيَّة الروميَّة، سواء فيما يتعلَّق بالتقاليد أو بالتنظيمات أو بالحضارة الموروثة عن العالم الإسلامي، ويبدو أنه كان ذا شخصيَّةٍ جذَّابةٍ تُغري الآخرين القيام بِخدمته، كما تحلَّى بالجَد والمُثابرة وضبط النفس والهيبة.

5 ـ قيام الإمارة العُثمانيَّة:
- تمت مُبايعة عُثمان بِإمارة عشيرة قايى بعد وفاة والده، فخلف عُثمان أباه أرطُغرُل بعد وفاته، وتولّى زعامة الإمارة العتيدة وعشيرة قايى وهو في سن الرابعة والعشرين على الأرجح.
- أما أهميَّة موقع الإمارة العُثمانيَّة فقد تحدَّد خلال عهد عُثمان الأوَّل الوضع العسكري والسياسي للتُرك العُثمانيين.
- كان وضعهم الديني قد تحدَّد قبل ذلك بِفعل تأثُرهم بالدين الإسلامي الذي كان مُنتشرًا في البيئات التُركيَّة في آسيا الوُسطى والغربيَّة، إلَّا أنَّ ما ميزهم عن العديد من السُلالات الإسلاميَّة

المُجاورة كان توفيقهم بين أكبر مذهبين إسلاميين، فعلى الرُغم من اعتناقهم المذهب السُني الحنفي، إلَّا أنهم أظهروا تأثُرًا ببعض جوانب المذهب الشيعي الجعفري.
- من الناحية العسكريَّة، كان لِموقع مركز عُثمان أثرٌ كبيرٌ في نجاحه. فمدينة سُكود تقع على مُرتفعٍ يسهل الدفاع عنه من جهة، وعلى الطريق الرئيسي المُمتد من القُسطنطينيَّة إلى قونية من جهةٍ أُخرى، وتكمن أهميَّة هذا المركز بِفعل التجزئة السياسيَّة لِلمنطقة التي أعطت الوحدات الصغيرة أهميَّة أكثر من ذي قبل وأتاحت مُجاورته لِأراضي الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة توجيه نشاطه نحو الحرب والجهاد لاستكمال رسالة السلطنة السُلجوقيَّة الروميَّة بِفتح الأراضي الروميَّة كافَّة.
- وشجَّعهُ على ذلك حال الضعف الذي دبَّ في جسم الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة وأجهزتها، حيثُ أتاح لهُ ذلك سُهولة التوسُّع باتجاه غربيّ الأناضول، وفي عُبور مضيق الدردنيل إلى أوروبَّا الشرقيَّة الجنوبيَّة، أكثر ممَّا أتاح لهُ الالتفات نحو جيرانه المُسلمين، بالإضافة إلى انهماك البيزنطيين بالحُروب في أوروبَّا.
- ومن الناحية السياسيَّة، فقد أظهر عُثمان مقدرةً فائقة في وضع النُظم الإداريَّة لِإمارته، بحيثُ قطع العُثمانيون في عهده شوطًا بعيدًا على طريق التحوُّل من نظام القبيلة المُتنقلة إلى نظام الإدارة المُستقرَّة، ما ساعدها على توطيد مركزها وتطوُّرها سريعًا إلى دولةٍ كُبرى[24].
- إنَّ مركز الإمارة في الشمال الغربي للأناضول، بِجوار العالم المسيحي، قد فرض على العُثمانيين سياسة عسكريَّة مُعيَّنة بِوصفها إمارة حُدوديَّة، والمعروف في تاريخ الأناضول أنَّ

[24]- محمد فريد بك، **تاريخ الدولة العليّة العثمانية**، ط 2، مطبعة محمد أفندي مصطفى بحوش، مصر، 1896، ص 40

الإمارات التي نشأت على الحُدود كانت أوفر حظًا في عوامل النُمو والتطوُّر من إمارات الداخل.

- إن أهميَّة موقع الإمارة العُثمانيَّة من ناحية بُعدها عن مناطق الغزو المغولي وعن نُفوذ الإمارات التُركمانيَّة القويَّة في جنوبي الأناضول وجنوبه الغربي، ووُقوعها بالقُرب من طريق الحرير الذي يربط المناطق الروميَّة في الغرب بالمناطق التي يُسيطر عليها المغول في الشرق، جعل لها خصائص استراتيجيَّة واقتصاديَّة بارزة.
- شكَّلت الإمارة الرباط الوحيد الذي يُواجه المناطق البيزنطيَّة التي لم تُفتح بعد، فجلب إليها هذا الوضع الخاص أعدادًا كثيرة من التُركمان الطامعين في الغزو والجهاد، والدراويش الباحثين عن المُريدين، والمُزارعين الفارين من وجه المغول، وقد وجدوا في أراضيها الخصبة مكانًا مُلائمًا لِمُمارسة نشاطهم الزراعي.

6 ـ العلاقات السياسيَّة في بداية عهد عُثمان:

- جرى ربط ظُهور عُثمان على الساحة السياسيَّة، واكتسابه لِوصف زعيم الجهاد بالعلاقة التي ربطته بالشيخ «إده بالي» التي تُوِّجت بالمُصاهرة. ويميلُ بعض المُؤرخين إلى اعتبار زواج عُثمان بإبنة هذا الشيخ أوَّل خُطوةٍ سياسيَّةٍ بارعةٍ منه، إذ أنَّ هذا الشيخ كان قائدًا لِلفرقة البابائيَّة المنسوبة إلى بابا إسحٰق الذي قاد ثورةً ضدَّ سلاجقة الروم مُنذ حوالي سنة 1239م إلى أن قُبض عليه وشُنق سنة 1241م.
- أظهر عُثمان، في بداية عهده، براعةً سياسيَّةً في علاقاته مع جيرانه، حيثُ التحالفات تتجاوز الخُطوط القبليَّة والإثنيَّة والدينيَّة، ورُبما تبع في ذلك غريزته ومُتطلبات تطلُّعاته السياسيَّة، إلَّا أنهُ لم يُخطئ في تقدير النتائج المُستقبليَّة لِلعلاقات العائليَّة التي أقامها لِنفسه وضمنها لابنه من بعده.
- أعاد تشكيل الثقافة السياسيَّة لِسلاجقة الروم بما يتوافق مع حاجات إمارته، فكان أكثر إبداعًا من جيرانه التُركمان في عمليَّات الدمج بين التقاليد التُركيَّة والإسلاميَّة والبيزنطيَّة.

- تعاون عُثمان مع جيرانه البيزنطيين من قادة المُدن والقُرى الروميَّة، فكانت عشيرته حين تنتقل بين مناطق الرعي في الصيف تترك حاجيَّاتها في قلعة «بيله جك» البيزنطيَّة، وعند عودتها كانت تُهدي مسؤولي هذه القلعة عربون تقدير لِخدماتهم، من الجبن وزُبدة الحليب المحفوظة في جُلود الحيوانات، والسجَّاد الجيِّد، الأمر الذي يعكس علاقة التعايش بين الرُعاة والمُزارعين أو ساكني المُدن.
- إن علاقاته بِخُصومه من الجماعات الإثنيَّة الأُخرى كالمغول، الذين انتقل مُعظمهم إلى مناطق الأطراف في غربيّ الأناضول، والكرميانيين؛ فقد كانت عدائيَّة لأنَّ التُرك بِعامَّة كانوا في حال

عداء مع المغول، والواضح أنَّ الصراع مع المغول والكرميانيين كان أشد في أوائل عهد الإمارة[25].

- تحالف عُثمان مع الآخية الفتيان، وهؤلاء هم الجماعات المُنظمة التي كان أعضائها يعملون في حرفةٍ واحدة، وقد جعلوا واجبهم حفظ العدل ومنع الظلم وإيقاف الظالم عند حده واتباع الشريعة الإسلاميَّة، وما تُمليه الأخلاق الحميدة وتنفيذ واجبات عسكرية إن دعت الحاجة للدفاع عن حقوقهم وحُقوق المُسلمين.

- تحالف مع القبائل التُركمانيَّة القادمة إلى الأناضول، والتي شكَّلت القلب النابض لِهذه المُقاطعات الحُدوديَّة بشكلٍ عام، والإمارة العُثمانيَّة بِشكلٍ خاص، لأنَّهم كانوا أكثر نشاطًا وفعاليَّةً من التُرك المُستقرّين في المُدن.

7 ـ وفاته:

كان عُثمان يُعاني من داء المفاصل أو النقرس إلى جانب الصرع الذي أُصيب به في سنواته الأخيرة، ويُرجَّح أنَّ وفاته جاءت نتيجةً للنقرس، فلمَّا بلغ أورخان سُكود استُدعي على الفور إلى والده، فوجده على فراش الموت، ولم يلبث أن توفي بعد أن أوصى بالمُلك من بعده لأورخان، وهو ثاني أولاده، بعد أن رآه أفضل وأكثر تهيُئًا لِزعامة الإمارة وقيادة الدولة من أخيه الأكبر علاء الدين، الذي اتصف بالورع الديني وميله إلى العُزلة، واختلف المُؤرخون في تحديد موعد وفاة عُثمان، فقيل أنه توفي يوم 21 رمضان 726هـ المُوافق 21 أغسطس 1326م، ولهُ من العُمر سبعين سنة. وعندما وافته المنيَّة دُفن في سُكود بدايةً، ثُمَّ أمر السُلطان أورخان بِنقل جُثمانه إلى بورصة، التي اتخذها عاصمةً له ودفنهُ فيها.

8 ـ وصيَّته:

ترك عثمان وصيَّةً مكتوبة لِولده أورخان يوصيه فيها بإكمال مسيرة الغزو والجهاد ضدَّ الروم، وأن يلتزم بتعاليم الشريعة الإسلاميَّة ويُلازم العُلماء ويعدل مع الرعيَّة ويُخلص إلى الإسلام ورسالته، كما تضمَّنت وصيَّته بعض النصائح إلى سائر أبناءه وإلى رفاق دربه الذين شهدوا معه كُل الغزوات أو مُعظمها[26].

---

[25]- محمّد أنيس، **الدّولة العثمانية والشرق العربي 1514-1914**، دار الجيل للطباعة، القاهرة، ص20 –21

[26]- عبد العزيز محمد الشناوي، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، ج 1، مطبعة جامعة القاهرة، 1980، ص 43

عصر السلاطين الأوائل
جـ أورخـــــان

تولَّى السُلطة سنة 726هـ/ 1326م بعد وفاة والده، وبعد أن تنازل لهُ أخوه علاءُ الدين عن العرش طوعًا، وقد امتدَّ حكمه حوالي 35 سنة. شهد عهده توسُّع الإمارة العُثمانيَّة وضمِّها لِلعديد من الأراضي والبِلاد المُجاورة وتصفية آخر مراكز النُفوذ والقُوَّة البيزنطيَّة في آسيا الصُغرى، فهزمت الجُيُوش العُثمانيَّة الروم بِقيادة الإمبراطور أندرونيقوس الثالث في معركة پيليكانون، وفتحت ما تبقَّى من قِلاعٍ وحُصونٍ بيزنطيَّةٍ في غرب وشمال غرب الأناضول، ثُمَّ حوَّل أورخان أنظاره ناحية جيرانه المُسلمين ففتح أراضي إمارة قرهسي وضمَّها إلى مُمتلكاته. وقد استفاد أورخان من النزاع الأُسري والحرب الأهليَّة التي نشبت في بلاد الروم بعد وفاة الإمبراطور أندرونيقوس الثالث واعتلاء يُوحنَّا الخامس ذي السنوات التسع العرش، في الحُصول على الكثير من الغنائم الحربيَّة من مُختلف أنحاء تراقيا، وقد تزوَّج أورخان بِتُيُودورة ابنة الإمبراطور لِقاء خدماته العسكرية. وفي الحرب الأهليَّة الأُخرى التي دارت رحاها بين الروم ما بين سنتيّ 1352 و1357م، عاود قانتاقوزن الاستعانة بِأُورخان ضدَّ يُوحنَّا الخامس نفسه هذه المرَّة، ومنحهُ لقاء هذه الخدمة قلعة «جنبي» الواقعة في شبه جزيرة گاليپولي حوالي سنة 1352م. وفي 2 مارس 1354م، ضرب زلزالٌ شديد گاليپولي فدمَّرها وانهارت أسوارها، فعبر إليها العُثمانيُّون بِقيادة سُليمان بن أورخان وسيطروا عليها وأعادوا تعميرها، لِيكون ذلك أوَّل استقرارٍ إسلاميٍّ بِالبلقان، وأولى الخُطوات العُثمانيَّة نحو حصار القُسطنطينيَّة[27]..

1 ـ السلطان الغازي أورخان الأول " أورخـــــان غازي":

- عثمان تنسب إليه الدولة العثمانية أهم خليفة ابنه أورخان سيعطي لنا منطلقات في بناء الدولة العثمانية هو الذي سيسجّل لنا العبور إلى أوروبا.
- كانت العلاقات السياسية بين الدولة العثمانية و الإمبراطورية البيزنطية حسنة في عهد أورخان ويوحنّا السادس حاكم بيزنطا.

- في سنة 1355م استنجد الحاكم البيزنطي يوحنا السادس بأورخان ليساعده لصدّ هجوم خصمه ملك السّرب.
- لبى أورخان طلب النجدة و أكثر من ذلك فقد زوّجه الحاكم البيزنطي ابنته (على إثر هذا أجاب أورخان نداء النجدة).
- كل إنتصار للعثمانيين كان يأتي إلى صفوفهم غزاة آخرين، فإزدادت الإمكانيات العسكرية (لإمارتهم بأكثر ممّا تتحمّله فكان لزاما عليها متابعة عملية الغزو) [28].

---

[27]- محمد سهيل طقّوش، المرجع السابق ، ص 33
[28]- محمد فريد بك، المرجع السابق ، ص42 – 44

- كان هناك صراع كبير، ففي الطرف البيزنطي نزاعات دينية الكاثوليك كانوا في نزاع مع أصحاب الكنيسة الأرثوذوكسية، هناك حملات صليبية توجّهت إلى بيزنطا (الحملة 4) اعتبروهم مارقين عن الدين المسيحي الحق.
- الدولة البيزنطية كانت تسودها إختلالات في نسيجها الاجتماعي: الإقطاع، عدم المساواة بين الأسياد والطبقة العامّة لم تكن هناك علاقة إتفاق، تقابلها دولة فتية أخرى تمثل إرث الدولة الإسلامية دولة جهاد من خلال موقعها في الثغور(دولتان تعيشان في علاقات تارة ودية وتارة مضطربة).
- هذه الصّور الإقتصادية (طرق الحرير مقطوعة عرقلة إقتصادية، بالإضافة إلى المظاهر الأخرى المشتتة)، تقابلها وحدة في الصّف العثماني يدفعها وازع ديني هو الجهاد، هذا ما ساعد في التفوق العثماني على البيزنطي (عامل التشتت كان له دور في الفوز).

2 ـ مولده و نسبه:

السُلطانُ الغازي أُورخان خان بن عُثمان بن أرطُغرُل، ويُعرف كذلك باسم أورخان بك ؛ هو ثاني سلاطين آل عُثمان والابن الثاني لِمُؤسس هذه السُلالة الملكيَّة عُثمان الأوَّل. وُلد في مدينة سُكود عاصمة إمارة والده سنة 687هـ / 1281م، والدتُه هي مال خاتون بنت الشيخ «إده بالي»، وجدُّه لِأبيه هو الأمير الغازي أرطُغرُل بن سُليمان شاه، وجدَّتُه لِأبيه هي حليمة خاتون..

لا يُعرف سوى القليل عن شباب أورخان وحياته قبل تولِّيه زعامة إمارة أبيه،، أوَّلُ ظُهورٍ مُوثقٍ لِأورخان غازي في التاريخ كان في سنة 1298م عند زواجه من ابنة صاحب يار حصار، فولدت لهُ سُليمان ومُراد. ظهر مرَّة أُخرى عندما نقل والده مركز دولته من بيله جك إلى يني
شهر في سنة 1299م، وفي سنة 1300م فتح أورخان قلعة كوبري حصار ومن بعدها أصبح أميرًا لِلحُدود في قراجة حصار، ومن بعد ذلك حصل على رُتبة بكلربك أو أمير الأُمراء، وعُيِّن قائدًا لِجيش الإمارة الصغير وانضم إلى كُل عمليَّات والده العسكريَّة، فاشترك في حصار إزنيق سنة 1301م، وحرب ديم بوز (دين بوز) سنة 1303م، بينما لم يُشارك في حرب لفكه لبقائه في إسكي شهر وقراجة حصار لمواجهة تهديدات الإمارة الكرميانيَّة التُركمانيَّة المُجاورة، وعندما قرر عُثمان البقاء في قراجة حصار لصد أي هُجومٍ مُحتملٍ لِلكرميانيين، أرسل ولدهُ مع بعض القادة العسكريين من رفاق دربه وقادة الآخية الفتيان إلى صقارية في سنة 1305م. تلك الغزوة كانت أوَّل حربٍ يقودها أورخان غازي كما فتح أورخان قلعة «قرەچپوش» ذات الأهمية الاستراتيجية، وقلعة «قره تكين» الواقعة أمام إزنيق، وقلعة أبسو، وانضمَّ بعد ذلك إلى والده في يني شهر، وكان الهدف من تلك الحملات والغزوات قطع الإمدادات القادمة إلى إزنيق وإجبار حاميتها على الاستسلام. وقد اكتسب أورخان تجربته العسكرية في تلك الحروب.

3 ـ صفاته و خِصاله:

أورخان بن عُثمان كان وسيمًا ومهيبًا وقويًا، فكان وجهه أبيض اللون يميلُ إلى الورديّ، وكان عاقد الحاجبين، ومُدوَّر اللحية، وطويل القامة، وكانت عيناه واسعتين شَدِيدُ اللَّبَاقَةِ، وَكَرِيمًا بِشكَلٍ خَاصٍّ مَعَ الْفَاتِحِين والفَنَّانِينَ وَالْفُقَرَاء كان يُحب العُلماء وحفظة القُرآن، وخصَّص لهم

رواتب، و أكثر ما كان يُدخل البهجة إلى نفس أورخان إشعاله قناديل الجوامع التي أمر ببنائها، وتوزيعه الطعام الذي أمر بِطهيه في قصره على الفُقراء والمساكين بِنفسه.

4 ـ فتح بورصة:

ركَّز السُلطان عُثمان جُهوده في سنواته الأخيرة على فتح المُدن البيزنطيَّة الكبيرة المعزولة، ورأى أن يبدأ بِفتح مدينة بورصة، فبنى بالقُرب منها قلعتين تُشرفان عليها، استمرَّ الحصار العُثماني لِبورصة ما بين 10 و11 سنة، فقد كانت المدينة حصينة، إذ حمتها قلعة

يبلغ طولها 3400 متر وأثناء استمرار عمليَّة الحصار، قام عُثمان وقادته بتطهير جوار الإمارة من بقايا الحُصون الروميَّة، ودخل بعض قادة تلك الحُصون مع حامياتهم في خدمة عُثمان، وأسلم البعضُ منهم فيما بقي البعض الآخر على المسيحيَّة، وفي تلك الفترة أُصيب عُثمان بِداء النُقطة (الصرع)، فلم يعد قادرًا على قيادة حصار المدينة بنفسه، فعهد إلى ابنه أورخان باستكمال الأمر، واعتزل هو الخُروج مع الجُيوش واستمرَّ حصار أورخان للمدينة دون أي قتالٍ أو حرب، ضيَّق العُثمانيّون الحصار على المدينة حتَّى دبَّ اليأس في قلب حاكمها وحاميتها، فاتخذ الإمبراطور البيزنطي قرارًا صعبًا، وأمر عامله عليها بإخلائها، ففعل، وانسحبت الحامية البيزنطيَّة من المدينة، ودخلها أورخان في 2 جُمادى الأولى 726هـ المُوافق 6 أفريل 1326م، ولم يتعرَّض لأهلها بِسُوء بعد أن أقرّوا بالسيادة العُثمانيَّة وتعهدوا بدفع الجزية. واستسلم صاحب المدينة، ثُمَّ أشهر إسلامه وبايع عُثمان ودخل في طاعته، فأُعطي لقب «بك»، وأصبح من قادة الدولة العُثمانيَّة البارزين فيما بعد، وتأثر به عددٌ آخر من قادة الروم الذين بقوا في المدينة وحُصونها المُجاورة، فأشهروا إسلامهم وانضموا تحت لواء العُثمانيين.

5 ـ وصيَّة والده:

تنصُّ بعض المصادر العربيَّة والعُثمانيَّة أنَّ عُثمانًا ترك وصيَّةً مكتوبة لِولده أورخان يوصيه فيها بإكمال مسيرة الغزو والجهاد ضدَّ الروم، وأن يلتزم بتعاليم الشريعة الإسلاميَّة ويُلازم العُلماء ويعدل مع الرعيَّة ويحميها، ويُخلص إلى الإسلام ورسالته. كما تضمَّت وصيَّته بعض النصائح إلى سائر أبناءه وإلى رفاق دربه الذين شهدوا معه كُل الغزوات أو مُعظمها.

6 ـ توليّه الإمارة:

لمَّا بلغ أورخان سُكود استُدعي على الفور إلى والده، فوجده يحتضر، بعد أن أوصى بالمُلك من بعده لِأورخان، وهو ثاني أولاده، بعد أن رآه أفضل وأكثر تهيُئًا لِزعامة الإمارة وقيادة الدولة من أخيه الأكبر علاء الدين، الذي اتصف بالورع الديني وميله إلى العُزلة. ووفقًا لِرأي المُؤرخين العُثمانيين الأوائل فإنَّ وُجهاء الإمارة اجتمعوا مع أولاد عُثمان غازي بعد وفاته، وفي هذا الاجتماع اقترح أورخان ولاية أخيه علاءُ الدين، ولكنَّ علاء الدين رفض هذا المُقترح، وأفاد أنَّهُ يرى أنَّ أخيه أورخان هو المُناسب لِهذا المنصب بسبب نجاحاته العسكريَّة، ووافقهُ في ذلك وُجهاء الإمارة، وهكذا أصبح أورخان أميرًا على بِلاد أبيه، وقد ناهز الأربعين من عُمره، واكتفى

علاءُ الدين بِمنصب الوزارة وإدارة الشُؤون الداخليَّة، لِيكون بِهذا أوَّل صدرٍ أعظمٍ في التاريخ العُثماني. كان الاتفاق على تولية أورخان إمارة أبيه أحد أهم الانجازات التي حقَّقها العُثمانيُّون في تلك الفترة من تاريخهم، وهكذا ورث أورخان دولةً ليست لها قوانين أو عملة أو حُدود واضحة، يُحيطُ بها جيران أقوى منها، فكان عليه أن يُقيم دولةً راسخة الأقدام، والتوسُّع على حساب جيرانه.

7 ـ إنجازاته على المستوى السياسي:

– اهتم أورخان بتنظيم دولته تنظيمًا محكمًا:

أ- قسمها إلى سناجق أو ولايات: جعل أورخان غازي من إمارة العُثمانيين دولةً فعليَّة بِفضل القوانين الجديدة والتنظيمات التي سنَّها، فكان إنشاء منصب الصدارة العُظمى لأوَّل مرَّة في تلك الحقبة، وهو أوَّل من عيَّن القُضاة والصوباشيين، وأرسل القُضاة إلى السناجق، وأنشئ ديوانًا لِلنظر في شُؤون الحُكم، وكذلك نظام الوقف. بلغت مساحة الأراضي العُثمانيَّة عشيَّة وفاة أورخان 95,000 كلم^2، وهي تُمثِّل 6 أضعاف الأراضي التي كانت عند جُلوسه على العرش. شملت هذه المساحة كامل ولايات بيله جك الحاليَّة، وبورصة، وبالق أسير - مع جُزر بحر مرمرة -، وصقارية، وقوجه إيلي، بِالإضافة إلى ولاية چنق قلعة، وأقضية بيغا، وأمروز، وبوزجا آدا، وولاية سنجق إسكي شهر، والجانب الآسيوي من إسطنبول عدا بضعة قُرى في الجُزر البحريَّة المُجاورة لِلمدينة، وهكذا ترك السُلطان أورخان قطرًا لا يُستهانُ به.

ب- جعل من بورصة عاصمة للدولة.

جـ – ضرب النقود باسمه [29].

8 ـ إنجازاته على المستوى العسكري:

أ- في مضمار الجيش:

وصل عدد الجُنود العُثمانيين في عهد السُلطان أورخان بدايةً من سنة 1332م إلى 90,000 جُندي: 40,000 منهم خيَّالة و50,000 مُشاة، وعندما فتح إمارة قرهسي سنة 1345م، انضمَّ جُنود هذه الإمارة البالغ عددهم 25,000 إلى الجيش العُثماني، ولم يكن في

تلك الأيام لِأي أميرٍ أناضوليٍّ مثل هذا العدد الكبير من العساكر، الذين وصل عددُهم في نهاية عهد أورخان إلى 115,000 جُندي، و عندما ألحق أورخان إمارة قرهسي بِبلاده، أصبحت الإمارة العُثمانيَّة تمتلك أُسطولًا صغيرًا، فقد كان لِبني قرهسي أُسطولٌ حربيٌّ وجُنُودٌ بحَّارة وأُمراء بِحار مجريُّون. طوَّر سُليمان باشا هذا الأُسطول وجعل مِيناء «آيدنجق» المُواجه لِباندرمه، في الرأس الشرقي لِخليج «أردك» لِيكون قاعدةً بحريَّةً لِهذا الأُسطول. وبِهذا الأُسطول عبر سُليمان باشا مضيق چنق قلعة وفتح في 6 صفر 755هـ المُوافق مارس 1354م قلعة گليپولي. أمر أورخان أن يُميَّز الجُندي العُثماني بِلبس قلنسُوة حمراء وصفراء وسوداء؛ ثُمَّ غيَّر السوداء إلى البيضاء، فبقي الأمر على هذا الحال حتَّى زمن السُلطان بايزيد الأوَّل.

ب- إنشاء جيش الإنكشارية:

اهتمَّ أورخان بِإعادة تنظيم الجيش الذي يُشكِّلُ عماد الدولة، فلجأ إلى وسيلةٍ تكفل لهُ زيادة عدد أفراده وتوفير فئة خاصَّة شديدة الولاء لِلدولة. فلم يكن لِلإمارة العُثمانيَّة عند قيامها جيشٌ نظاميٌّ تعتمدُ عليه، فقد أدرك أورخان، من خِلال عمليَّاته العسكريَّة السَّابقة، حاجتهُ إلى جيشٍ من المُشاة يستطيع بِواسطته أن يفتح القِلاع ويقتحم الأسوار المنيعة، وقد فشلت جُهُوده في

[29]- كارل بروكلمان، المرجع السابق ، ص 410

تحويل الفُرسان التُرك إلى جُنودٍ مُشاة حتَّى مع تنظيمات أخيه علاء الدين، لِهذا كان من الطبيعي أن يسعى الرجُلان لِإنشاء جيشٍ من المُشاة دائمٍ ومُحترف، وهذا ما سمحت الظُروف بِتحقيقه في النصف الأوَّل من القرن الرَّابع عشر الميلاديّ، وذلك باستخدام عُنصُر غير مُسلم وغير تُركي، وهو نظامٌ عسكريٌّ جديدٌ لم يكن مُتبعًا في الدُول التُركيَّة الإسلاميَّة السَّابقة على العُثمانيين. كان صاحبُ هذه الفكرة هو قره خليل باشا الجندرلي، وهو أحد مُستشاري أورخان، فاقترح عليه أن تأخذ الدولة خُمس أسرى الحرب من فتيان الروم مُقابل الضريبة المُستحقة عليهم استنادا إلى قانون الخُمس الذي صدر في عهد أورخان، وأن يُؤخذ أيضًا الأطفال الأيتام والمُشردين من الروم والأوروبيين ويُفصلون عن كُل ما يُذكرهم بِقومهم وأصلهم وتتم تربيتهم تربية إسلاميَّة تشمل الفكر والجسم لِترسيخ مبادئ الإسلام في قُلوبهم وأنفُسهم بحيثُ لا يعرفون أبًا إلَّا السُلطان ولا حرفةً إلَّا الجهاد والحرب، وأن يُخضعوا بعد ذلك لِتدريبٍ عنيفٍ خاص يهدف إلى تقوية أبدانهم وتعويدهم خُشونة العيش، حتَّى إذا بلغوا السن اللائق لِلخدمة العسكريَّة أُدخلوا ضمن فرق الجيش وممَّا حبَّب هذه الفكرة إلى أورخان وزيَّنها إليه أنَّ هؤلاء الغلمان كان لا يُخشى على تحزُّبهم إلَّا لِلدولة والسُلطان والإسلام. ويُذكر أنَّ أخذ الفتيان أو ما اصطُلح على

تسميته بـ«ضريبة الغلمان»، كان مقصورًا على رعايا دول النصارى الذين يتبعون الكنيسة الأرثوذكسيَّة الشرقيَّة، رُبما بِسبب أنهم يُشكلون الغالبيَّة العُظمى من رعايا الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة وبالتالي المناطق التي فتحها المُسلمون[30].

بدأ أورخان مُنذ سنة 731هـ المُوافق 1330م بتأسيس جيش بلاده الجديد، فأقام الغلمان والفتيان المُشردين والأيتام في ثكناتٍ خاصَّةٍ تُسمَّى «أوطة» (ثُمَّ حُرِّف لفظها بِالعربيَّة فصارت «أوضة»)، أي «غُرفة»، وجعل يُلقنهم التعليم العسكري الأساسي في مدرسةٍ حربيَّةٍ عُرفت بـ«الأوجاق». ووضع لهم قانونًا خاصًا تضمَّن أربع عشرة مادَّة تُحدِّدُ النظام الداخلي وتنظيم علاقات الأفراد بعضهم بِبعض، كما نصَّ على وُجوب الطَّاعة المُطلقة والانقياد التَّام لِلسُلطان. وحرَّم عليهم الزواج، فكان الفردُ منهم يعيش من دون أملٍ في تكوين أُسرة، كما حرَّم عليهم الاختلاط بِالمُجتمع، وإنما وهبوا أنفُسهم لِلدفاع عن الدين الإسلامي وملَّة المُسلمين والسُلطان، فالإسلامُ عقيدتهم والقُرآنُ كتابهم والسُلطانُ والدهم والثكنة العسكريَّة مأواهم والحربُ مهنتهم.

وكانت راية الجيش الجديد من قُماشٍ أحمر وسطُها هلال، وتحت الهلال صورة لِسيف أطلقوا عليها اسم «ذي الفقار» تيمُنًا بِسيف رابع الخُلفاء الراشدين الإمام علي بن أبي طالب، وعمل أورخان على زيادة عدد جيشه الجديد بعد أن ازدادت تبعات الجهاد، فاختار عددًا من شباب البيزنطيين الذين أسلموا وحسُن إسلامهم، فضمَّهم إلى الجيش واهتمَّ اهتمامًا كبيرًا بِتربيتهم تربية إسلاميَّة جهاديَّة. ولم يلبث الجيش الجديد حتَّى تزايد عدده، وأصبح يضم آلافًا من الجُنود، وقد اعتمد لهم التقسيم العشري، فجعل قائد الفرقة المُكوَّنة من عشرة جُنود يُسمَّى «أونباشي»، وقائد الفرقة المُكوَّنة من مائة «يوزباشي»، وقائد الفرقة المُكوَّنة من ألف «بنباشي». ويعتبر المُؤرخون أنَّ الجيش الانكشاريّ هو أوَّلُ جيشٍ نظاميٍّ دائمٍ ذو أفرادٍ يتلقون الرواتب بانتظام عرفته أوروبَّا قبل قرنٍ كاملٍ من اعتماد شارل السابع ملك فرنسا نظام العساكر الدائمة.
– نظّم الجيش، فألّف فرقًا من الفرسان النظاميين، وأنشأ من الفتيان المسيحيين الروم والأوروبيين الذين جمعهم من مختلف الأنحاء جيشًا قويًا عرف بجيش الإنكشارية، وقد

– [30] - L.Collas, Histoire de l'empire ottoman jusqu'à la révolution de 1909, 4 éditions, Paris, p. 23.

درّب أورخان هؤلاء الفتيان تدريبًا صارمًا وخصّهم بامتيارات كبيرة، فتعلقوا بشخصه وأظهروا له الولاء [31].

9 ـ إنجازاته على المستوى الإقتصادي:

أصدر أورخان غازي قانون التجارة في بورصة بعد قانون والده عُثمان غازي الذي صدر في إسكي شهر حوالي سنة 699هـ المُوافق 1300م، وهو من أقدم القوانين العُثمانيَّة ومُكوَّن من 21 مادة، وبِالإضافة إلى المواد التي تُحدد الضربية المفروضة على أهل الحرف وأصحاب الدكاكين، فقد وُضعت لِأوَّل مرَّة عدة قواعد لِتحديد معايير الإنتاج والتشغيل.

10 ـ توسعات الدولة العثمانية في عهده:

– في سنة 1355م استنجد الحاكم البيزنطي يوحنا السادس بأورخان ليساعده لصد هجوم خصمه ملك السّرب.

– لبى أورخان طلب النجدة و أكثر من ذلك فقد زوّجه الحاكم البيزنطي ابنته (على إثر هذا أجاب أورخان نداء النجدة)، وعبر الجيش العثماني إلى الساحل الأوربي.

– عبر الجيش العثماني إلى الساحل الأوروبي، هذا العبور جعل العثمانيين يدركون مدى الضعف الذي وصلت إليه الإمبراطورية البيزنطية، وأدركوا أهمية الساحل الذي نزلوا فيه.

– ومن هذا التاريخ بدأت الدولة تعد العدّة لتحقيق الهدف (التوسع قدر ما تستطيع على هذه الأملاك لهذه الدولة).

– إذ بعد عامين من العبور تمكن وليّ العهد سليمان ابن أورخان من العبور إلى الشاطئ الأوروبي، واستولى على قلعة فاليوبولي، وهي أوّل منطقة أوروبية تضاف إلى الدولة العثمانية.

– بورصة التي احتلّت في أيام عثمان حوّلت إلى عاصمة، والآن ظهر لهم أوّل عبور إلى القارة الأوروبية في أيام أورخان، هكذا إنتقلت الفتوحات العثمانية إلى القارة الأوروبية المسيحية، بعد أن كانت حروبها السّابقة داخل شبه جزيرة الأناضول[32].

– عمل أورخان على توسيع الدولة، فكان طبيعيًا أن ينشأ بينه وبين البيزنطيين صراع عنيف كان من نتيجته استيلاؤه على مدينتيّ إزميد ونيقية.

– وفي عام 1337م شنّ هجومًا على القسطنطينية عاصمة البيزنطيين نفسها، ولكنه أخفق في احتلالها.

– ومع ذلك فقد أوقعت هذه الغزوة الرعب في قلب إمبراطور الروم "أندرونيقوس الثالث"، فسعى إلى التحالف معه وزوجه ابنته. ولكن هذا الزواج لم يحل بين العثمانيين وبين الاندفاع إلى الأمام، وتثبيت أقدامهم سنة 1357م في شبه جزيرة غاليبولي، وهكذا اشتد الخطر العثماني على القسطنطينية من جديد.

- شهد المسلمون في عهد أورخان أوّل استقرار للعثمانيين في أوروبا، وأصبحت الدولة العثمانية تمتد من أسوار أنقرة في آسيا الصغرى إلى تراقيا في البلقان.

- شرع الدعاة يدعون السكان إلى اعتناق الإسلام.

---

[31]- محمد سهيل طقّوش، المرجع السابق ، ص 38

[32]- أحمد آق كوندز، **الدولة العثمانية المجهولة**، وقف البحوث العثمانية، إسطنبول، 2008، ص 64

- توفي أورخان الأول في سنة 1360م بعد أن أيّد الدولة الفتيّة بفتوحاته الجديدة وتنظيماته العديدة.

– تولّى بعده ابنه "مراد الله"، الملقب بمراد الأول [33].

11- توطيد العلاقة بين الدولة والبكطاشيَّة:

توطَّدت العلاقة في عهد السُلطان أورخان بين القيادة السياسيَّة العُثمانيَّة ومشايخ البكطاشيَّة، وبالأخص الأبادلة الأروام، وفي مُقدمتهم الشيخ المجذوب موسى أبدال. أحد عُظماء شُيُوخ البكطاشيَّة، ويعتبره البكطاشيُّون أحد الأولياء الصالحين، وقد حضر مع السُلطان أورخان فتح بورصة، وساهم في صد العدوان عن الإمارة العُثمانيَّة في بداية نشأتها، وكان يُقدِّم مُريديه كمُحاربين لِمُؤازرة أورخان في حُروبه حتَّى يتم النصر لِلجيش العُثماني، وبِذلك انضوى كثيرٌ من البلاد في الأناضول تحت راية العُثمانيين. ومن المعروف أنَّ موسى أبدال وضع أدبيَّات الطريقة البكطاشيَّة، وكان يعتبر الحاج بكطاش «صاحب علمٍ»، رُغم أنَّهُ لم يلتقِ به وجهًا لِوجه، فاتبع مذهبه وقلَّده، واتبعه مُريدوه بِدورهم، وقد انتشروا بِكثرةٍ في كافَّة أنحاء الأناضول، وبِخاصَّةٍ في القسم الغربي منه وتأثَّر بهم الناس، فأخذت فكرة تعظيم الحاج بكطاش وليّ تنتشر

في أماكن واسعة داخلة في نطاق الإمارة العُثمانيَّة. ومن أبرز المشايخ البكطاشيَّة من أصحاب النُفُوذ زمن السُلطان أورخان أيضًا، الشيخ المجذوب المشهور بِـ«دوغلو بابا»، وقد حضر مع السُلطان فتح بورصة، وكذلك الشيخ المجذوب أبدال مُراد الذي شارك بِدوره في حصار وفتح بورصة، وقد بنى السُلطان أورخان تكيَّةً لِأبدال مُراد ومُريديه في مدينة بورصة، ووقَّف قرية لِتغطية نفقاتها. ومُنذُ ذلك الحين توطَّدت العلاقة بين السلطنة والطريقة البكطاشيَّة، وأوكل إلى البكطاشيين مُهمَّة منح التربية المعنويَّة للانكشارية، فارتبط هؤلاء بها ارتباطًا وثيقًا حتَّى عُرف أوجاقهم بِأوجاق البكطاشيَّة.

12- سنواته الأخيرة و وفاته:

اعتزل أورخان العمل السياسي والخُروج مع الجُيُوش في أيَّامه الأخيرة، وأمضى ما تبقَّى من حياته في بورصة مُتضرعًا ومُتعبدًا لِله، وأوكل جميع الأُمور الإداريَّة في الدولة لابنه مُراد. بعد ذلك بِفترة حصلت فاجعة في حياة أورخان، إذ بينما كان وليّ عهده سُليمان باشا يركب حصانه في أوائل سنة 760هـ المُوافق 1358م، زلَّت أرجُله على بعض الحجارة فسقط عنهُ سُليمان واصطدم رأسه عليها، فمات على الفور وعُمره 41 سنة. وكانت وفاة سُليمان سببًا في وقف التقدُّم العُثماني في أوروبَّا إلى حين، لِأنَّ سُليمان كان الأكثر قُدرةً، من بين أبناء أورخان على مُتابعة هذه المسيرة. وحزن أورخان حُزنًا شديدًا على وفاة ابنه. وفي شهر جُمادى الأولى 761هـ المُوافق 1360م، توفي أورخان وسنُّه 81 سنة ومُدَّة حُكمه 35 سنة، بعد أن أيَّد إمارته بِفُتُوحاته الجديدة وتنظيماته العديدة وترتيباته المُفيدة، ودُفن في مدينة بورصة في تُربة والده عُثمان، وإلى جانب ابنه سُليمان.

13- ميراثه:

[33]- كارل بروكلمان، المرجع السابق ، ص 415

إن أورخان كان نموذجًا لِجميع السلاطين على مدى قرنٍ ونصف فهو المُؤسس الحقيقي لِلدولة العُثمانيَّة، حيث وضع أُسسًا قويَّةً لِبناء الدولة التي بدأ والده ببنائها، ونجح بِنقل قبيلة كانت تجوب فيافي الأناضول إلى دولة حكمت في أوروبَّا وآسيا بِفضل إدارته العادلة.
نجاح أورخان راجع إلى ما تلقَّاه من الآداب والعُلوم على يد جدِّه لِأُمِّه الشيخ «إده بالي»، وإرادة والده عُثمان الفولاذيَّة التي ورثها عنه، وصدقه الذي اشتهر به حتَّى قيل بأنَّهُ لم يُحيد عنه في

حياته، ودُعاء عُلماء المرحلة لهُ بِالبركة والحُفظ، هذا ومن المعروف أنَّ أورخان كان أوَّل سُلطانٍ رُسمت طغراء باسمه، وسار على نهجه جميع سلاطين بني عُثمان الذين أتوا من بعده حتَّى انهيار الدولة بعد حوالي 600 سنة. شكَّل حُكمُ أورخان بداية النهاية بِالنسبة لِلإمبراطوريَّة البيزنطيَّة، ومرحلةً جديدةً في التاريخ الإسلامي شهدت أوَّل استقرارٍ لِلمُسلمين في أوروبَّا الشرقيَّة، وبالإجمال يُنظر إليه على أنَّهُ أحد أنجح السلاطين العُثمانيين خُصوصًا والمُسلمين عُمومًا في مسيرتهم العسكريَّة والسياسيَّة، وبِفضل إنشائه جيش الانكشاريَّة توسَّعت الدولة العُثمانيَّة لاحقًا حتَّى فتحت كامل البلاد البلقانيَّة وضمَّت ما جاورها من بلادٍ إسلاميَّة، بعد أن أصبح ذلك الجيش أكبر عامل من عوامل تقدُّم الفُتوحات والتوسُعات.
تكمُنُ قيمة أورخان في التاريخ الإسلامي أنَّهُ شهد أوَّل استقرارٍ لِلمُسلمين في أوروبَّا الشرقيَّة، كما شهد ظُهور نظامٍ عسكريٍّ جديدٍ وأوَّل جيشٍ نظاميٍّ هو جيش الإنكشاريَّة، الذي قُدِّر لهُ أن يكون أعظم جيشٍ في العالمين الإسلاميّ والمسيحيّ لِفترةٍ طويلةٍ من الزمن، وأن يُلقي الرُعب في قُلوب المُلوك والأباطرة والأُمراء الأوروبيين لِمُدَّة أربعة قُرونٍ مُتتالية، بِالإضافة إلى ظُهور الإمارة العُثمانيَّة التي أصبحت تمتد من أنقرة إلى تراقيا، بعد أن ضاعف الأراضي التي ورثها عن والده ست مرَّات، وأرسى أوَّل تنظيمٍ لِلدولة. دام حُكم أورخان خمسًا وثلاثين سنة، ليكون بِذلك أطول من عمَّر من سلاطين بني عُثمان، وكما كان حالُ والده، عاش أورخان حياةً زاهدةً أقرب إلى حياة المُتصوفين، ولم يُلقَّب بِالسُلطان رُغم شُيُوع ذلك اللقب في المُؤلَّفات التي تتحدث عنه، بل عُرف بِلقب «بك» أي «أمير».

عصر السلاطين الأوائل

د- مراد الأول وفتح البلقان

الملكُ العادل والسُلطانُ الغازي مُراد خان الأوَّل بن أورخان بن عُثمان ويُعرف اختصارًا باسم مُراد الأوَّل اشتهر هذا السُلطان بِأنَّهُ « مُرادُ الله». هو ثالث سلاطين آل عُثمان وأوَّل من تلقَّب بِلقب سُلطانٍ بينهم، بعد أن كان والده أورخان وجدِّه عُثمان يحملان لقب «أمير» أو «بك» فقط. والدته هي نيلوفر خاتون ابنة صاحب يني حصار البيزنطي فهو أوَّلُ سُلطانٍ عُثمانيٍّ صاحب جُذورٍ تُركمانيَّة - بيزنطيَّة.
تولَّى الحُكم بعد وفاة أبيه السُلطان أورخان سنة 1360م، وكان عُمره 36 عامًا وقتها، واستمرَّ حُكمه 31 سنة تمكَّن خلالها من توسيع نطاق إمارته حتَّى أصبحت قوَّة إقليميَّة كبيرة. كانت باكورة أعماله فتح مدينة أدرنة في تراقيا ونقل مركز العاصمة إليها من بورصة، ثُمَّ تابع فُتوحاته وتوسُعاته في جنوب شرق أوروبَّا، فضمَّ الكثير من البلاد إلى مُمتلكاته وإلى ديار الإسلام، وأجبر أُمراء الصرب والبلغار وحتَّى الإمبراطور البيزنطي يُوحنَّا الخامس پاليولوگ على الخُضوع له ودفع جزية سنويَّة لِلدولة العُثمانيَّة. ولمَّا بلغت الأخيرة مبلغًا كبيرًا من القُوَّة والازدهار خضعت لها الإمارات التُركمانيَّة في الأناضول بعد أن تبيَّن لها عدم جدوى مُقاومتها وصحَّة مُحالفتها، إلَّا إمارة القرمان التي حاول أميرُها علاءُ الدين بن علي الداماد إثارة حمية الأُمراء المُسلمين المُستقلين وتحريضهم على قتال العُثمانيين ، فكانت عاقبة دسائسه أن هاجمه العُثمانيُّون واستولوا على مدينة أنقرة عاصمة إمارته، فاضطرَّ إلى مُهادنتهم بِدوره.

1 ـ صفاته و خِصاله:

كان شخصًا مربوع القامة، وطويل الرقبة، ومُستدير الوجه، وكبير الأنف، وواسع العينين، وعاقد الحاجبين، وحاد النظرات، وكبير الأسنان المُتباعدة، وعريض الصدر. لحيته لم تكن طويلة ولا قصيرة، أمَّا أصابعه فكانت طويلة وغليظة وقويَّة جدًا ومُتباعدة عن بعضها بعضًا،

حتَّى قيل بِأنَّ طغراءه نجمت عن ضغطه بِإصبعه على الورق. صوته كان جهوريًّا قويًّا في الحُرُوب ويُسمع من مسافةٍ بعيدة. تُبرزُ المصادر العُثمانيَّة الجانب الخيِّر والعادل لِمُراد الأوَّل، أمَّا بعض المصادر الغربيَّة فتصفهُ بِأنَّهُ كان قليل الكلام، وأنَّ عباراته جميلة على قلَّتها، وأنَّهُ «حاكمٌ خيِّرٌ، وصيَّادٌ لا يعرف التعب، وفارسٌ شهم». «رمز الاستقامة»، وأنَّ أرادتهُ لم تكن تُهزم، يُؤدِّي فُروضه الدينيَّة الإسلاميَّة بالتزام، ويُحب مُناقشة العُلماء كثيرًا، ويرتدي قماشًا صوفيًّا خفيفًا ورقيقًا، وهذا رداءٌ خاص بِالدراويش ورجال الدين ويُروى أنَّ الشعب كان يُحبُّه باعتباره «حاميًا وأبًا مُباركًا».
كان أوَّل سُلطانٍ يمتلكُ مكتبةً خاصَّة، بِدليل أنَّ بعض الكُتب نُسخت خصيصًا له. فلم يكن فقط عالمًا بِالتُركيَّة، بل أنَّهُ كان يقرأ أصعب الكُتب العربيَّة التي لا يستطيع جُمهُور الناس من الأعاجم فهمها بِسُهولة وإن تكلَّمُوا اللُغة العربيَّة. كان السُلطان مُراد مُحبًا بِشدَّة لِلمُلَّا جلالُ الدين الرومي، وحظي بِلقب «هنكار» نتيجة ذُيُوع حُبِّه العميق له.
يتناقل أهالي بورصة قصَّة مفادها أنَّ مُراد الأوَّل صلَّى صلاته الأخيرة قُبيل انطلاقه إلى حرب قوصوه في موضع أمر ببناء مسجدٍ جامع فيه في ذات السنة (1389م)، وعندما قُتل في المعركة، استُلهم اسم الجامع من من هذه الواقعة، فسُميَّ «جامع الشهادة»، وهو يقع اليوم في حي طوبخانة بِالمدينة سالِفة الذِكر، إلى الأعلى من قبريّ عُثمان الأوَّل وأورخان غازي، اشتهر مُراد الأوَّل بتديُّنه الكبير وحُسن مُعاملته لِرعيَّته.

2 ـ توليّه الإمارة:

كانت أنظارُ الأعيان وأهلُ الحل والعقد في الإمارة العُثمانيَّة مُتوجهة نحو سُليمان بن أورخان، الأخُ الأكبر لِمُراد، كي يتولَّى عرش الإمارة بعد والده، لا سيَّما أنَّهُ ظهر كقائدٍ فاتح مُنذ شبابه، وخاض حُروبًا بارزة انتصر فيها، من أبرزها فتح گاليپولي، وكان الأكثر قُدرةً، من بين أبناء أورخان على مُتابعة مسيرة الجهاد والفُتُوح في أوروپَّا. لكن حصل في أوائل سنة 760هـ المُوافق 1358م، أن تُوفي سُليمان بعد أن زلَّت أرجُل حصانه على بعض الحجارة، فسقط عنهُ واصطدم رأسه عليها، فمات على الفور وعُمره 41 سنة،

خلف مُراد أخاهُ سُليمان في قيادة الوحدات العسكريَّة على الساحة الأوروپيَّة بعد وفاته، فخاض جهاد الغُزاة التُركمان، وتمتَّع بِدعم هؤلاء له؛ وعليه فقد شارك فعليًّا في السُلطة، وظهر بِوصفه الخليفة الطبيعي لِوالده. وفي جُمادى الأولى 761هـ المُوافق1360م، توفي السُلطان أورخان وسنُّه 81 سنة، وعند وفاته، بُويع مُراد من قِبل أعيان بورصة ومُقاتلي المناطق الحُدوديَّة والعُلماء، بحيثُ أضحى حاكمًا شرعيًّا[34].

3 ـ وصيَّة والده:

تنص المصادر العُثمانيَّة والتُركيَّة أنَّ أورخان ترك وصيَّةً لابنه مُراد يُوصيه فيها بِإكمال مسيرة الجهاد والفُتُوح في أوروپَّا، وتوسيع حُدود الإمارة التي أنشأها جدُّه عُثمان، ونشر الإسلام في رُبوعها.

4 ـ السلطان "مراد الله" الملقب بمراد الأول:

استمرت الفتوحات العثمانية في القارة الأوروبية بعد "أورخان"، ففي عهد مراد الأول 1360-1389م (حوالي 29 سنة)، سيعطي للدولة العثمانية إمكانيات فتح مدينة "أنقرة" وفتح "أدرنة"
(Adrianople) ذات الأهمية الإستراتيجية العظيمة، والتي كانت تعد ثاني مدينة بيزنطية بعد القسطنطينية، ومن ثمة إتخذها عاصمة للعثمانيين لتكون في أوروبا قريبة من ميادين القتال، ورغم التحالف الأوروبي بقيادة البابا "أوربان الخامس" في حملة مسيحية صليبية لإستعادة المدينة و هذا لأن العثمانيين توسعوا ووصلوا إلى جبال البلقان، إلا أن القوات الأوروبية المتحالفة تعرضت لشر هزيمة سنة 1363م على ضفاف نهر المارتيز (تعد من المعارك الفاصلة في تاريخ الإسلام)، وكانت من نتائج الإنتصار العثماني وقوع "بلغاريا" كلها في أيدي العثمانيين، و الذين فتح لهم المجال لفتح "صوفيا" و "نيش" بين سنوات 1385-1386م، و بذلك ضم مراد الأول إلى ملكه المناطق الواقعة إلى جانب جبال البلقان[35].

وسَّع مُراد الأوَّل غزواته وفُتوحاته في شبه جزيرة البلقان التي كانت في ذلك الحين مسرحًا لِتناحُرٍ دائمٍ بين مجموعةٍ من الأُمراء المسيحيين الثانويين. فاستولى سنة 1383م على مدينة صوفيا في بلغاريا، ثُمَّ سالونيك في مقدونيا، وشنَّ عدَّة غارات على عديدٍ من القلاع

---

[34] - L.Collas: op. cit., p 24.

[35]- محمد سهيل طقّوش، المرجع السابق، ص53–54

والحُصُون في شمال بلاد اليونان، فاضطرب لِذلك المُلوك المسيحيُّون المُجاورون وطلبوا من البابا أوربان الخامس أن يتوسَّط لدى مُلوك أوروبَّا الغربيين لِيُساعدوهم على مُحاربة المُسلمين وإخراجهم من أوروبَّا خوفًا من امتداد فُتُوحاتهم إلى ما وراء جبال البلقان، فلبَّى البابا نداءهم ودعا إلى حملةٍ صليبيَّةٍ لِلدفاع عن القارَّة الأوروبيَّة ضدَّ المُسلمين. وفي 19 جُمادى الآخرة 791هـ المُوافق 12 يونيو 1389م، التقت الجُيُوش العُثمانيَّة بِالقوى الصربيَّة - تُساندُها قوىٍ من المجر والبلغار والأرناؤوط (الألبانيين) - في سهل قوصوه (كوسوڤو)، فدارت بين الفريقين معركةٌ عنيفة قُتل فيها السُلطان مُراد غدرًا على يد جُندي صربي تظاهر بِالموت، ولكنَّ العُثمانيين لم يلبثوا أن نظَّموا صُفوفهم تحت قيادة بايزيد بن مُراد، فهزموا القُوَّات الصليبيَّة هزيمة شنعاء.
كان مُراد الأوَّل أوَّل سُلطانٍ عُثمانيٍّ يموت في أرض المعركة، والوحيد من سلاطين بني عُثمان الذي قُتل في الحرب، وأُضيف إلى ألقابه بعد وفاته لقب «السُلطان الشهيد». تكمن أهميَّة مُراد الأوَّل بِنجاحه في الارتقاء بِالإمارة العُثمانيَّة إلى طور الدولة، وقد مهَّدت وضعيَّة فُتوحاته السبيل لِتطوير النظام الإنكشاري وإحداث تغييرات هامَّة في نُظم الإمارة، ما ساعد على وضع أُسس الهيكل المركزي فيها. وكما كان حالُ والده وجدِّه من قبل، عاش مُراد حياةً زاهدةً أقرب إلى حياة المُتصوفين، فكان لباسه لِباس الدراويش، واشتهر بِقلَّة كلامه وحُبِّه مُجالسة العُلماء والتفقُّه بِالشريعة الإسلاميَّة[36].

5 ـ إنجازاته على المستوى السياسي:
- كان مراد الأول أول من إتخذ لقب السلطان.
- كان حاكما عنيدا وسع أملاكه في أوروبا.
- صارت الدولة العثمانية في عهده متاخمة للسرب و البلغار فلم يجد إمبراطور القسطنطينية بدا من الإعتراف بفتوحات مراد الأول، واعترف بمساعدته ضد أمراء آسيا.

- عقد معاهدة مع جمهورية راجوزه (بلدة يوغوسلافية على الأدرياتيكي أصبحت غنية بفضل تجارتها مع الدولة العثمانية): تقدمت هذه الجمهورية إلى السلطان مراد الأول و عقدت معه في 1365م معاهدة تجارية، منح بموجبها مراد أهل راجوزه السماح لهم بالتجارة في أملاكه مقابل جزية و هذه تعد أول معاهدة مع دولة نصرانية.
– كانت السياسة الأساسية لمراد الأول التوجه نحو البلقان [37].

6 ـ إنجازاته على المستوى العسكري:
– شهدت المُؤسسة العسكريَّة العُثمانيَّة بضع تغيُّراتٍ وتطوُّراتٍ ملحوظةٍ في عهد مُراد الأوَّل. ففي مجال سلاح الفُرسان، يُنسب إلى القائد والوزير تيمورطاش باشا تنظيم فرق الخيَّالة العُثمانيين المُسمَّاة» سپاهية أو سپاه «على نظامٍ جديدٍ، فاختار أن تكون راياتهم بِاللون الأحمر الذي أصبح شعار الدولة العُثمانيَّة حتَّى آخر أيَّامها، وأقطع كُلَّ نفرٍ منهم جُزءًا من الأرض يزرعهُ أصحابه الأصليُّون مسيحيين كانوا أو مُسلمين في مُقابل دفع بدل مُعيَّن لِصاحب الإقطاع، وذلك بِشرط أن يسكن الجُندي في أرضه وقت السِلم ويستعد لِلحرب عند الاقتضاء على نفقته وأن يُقدِّم أيضًا جُنديًّا آخر معه. وكان كُل إقطاع لم يتجاوز إيراده السنوي عشرين ألف غرش يُسمَّى «تيمار»، وما زاد إيراده على ذلك يُسمَّى «زعامت».

[36]- محمد سهيل طقّوش، المرجع السابق ، ص 44
[37]- محمد فريد بك، المرجع السابق ، ص45 – 48

- كانت فاتحة أعمال مراد الأول احتلال مدينة أنقرة (في آسيا الصغرى) مقر إمارة القرمان، وذلك أن أميرها واسمه علاء الدين، أراد انتهاز فرصة انتقال المُلك من السلطان أورخان إلى ابنه مراد لإثارة حمية الأمراء المجاورين وتحريضهم على قتال العثمانيين، ليقوضوا أركان ملكهم الآخذ في الامتداد، فكانت عاقبة دسائسه أن فقد أهم مدنه.
- تحالف مراد مع بعض أمراء الأناضول مقابل بعض التنازلات لصالح العثمانيين، وأجبر آخرين على التنازل له عن ممتلكاتهم، وبذلك ضمّ جزء من الممتلكات التركمانية إلى الدولة العثمانية.
- وجّه اهتمامه نحو شبه جزيرة البلقان التي كانت في ذلك الحين مسرحًا لتناحر دائم بين مجموعة من الأمراء الثانويين.

- فتح مدينة أدرنة سنة 1362م ونقل مركز العاصمة إليها لتكون نقطة التحرك والجهاد في أوروبا، وقد ظلت عاصمة للعثمانيين حتى فتحوا القسطنطينية.
- فتح عدّة مدن أخرى مثل صوفيا وسالونيك، وبذلك صارت القسطنطينية محاطة بالعثمانيين من كل جهة في أوروبا[38].

7ـ معركة " قوصوه "ميدان الطيور السود 1389م:

– كان أكبر إنتصار عسكري حققه العثمانيون على الأوربيين في معركة "قوصوه" Cosovo سنة 1389م، فقد جاءت هذه المعركة بعد النداءات المتكررة من الكنيسة المسيحية بروما، وأفلحت في تكوين حلف عسكري أوروبي (ملك صربيا و أمراء البوسنة و الأفلاق رومانيا و ألبانيا والهرسك وجنود من المجر و بولوندا) لقهر العثمانيين وإخراجهم نهائيا من القارة الأوروبية.
– إنظم إلى الجيش العثماني السلطان مراد الأول رغم كبر سنه.
– وفي 12يونيو سنة 1389م، التقت الجيوش العثمانية بالقوى الصربية - تساندها قوىً من المجر والبلغار والألبانيين - في إقليم" قوصوه"، المعروف حاليًا باسم" كوسوڤو"، فدارت بين
الطرفين معركة عنيفة انتصر فيها العثمانيون، إلا أن السلطان قتل في نهايتها على يد أحد الجنود الصرب الذي تظاهر بالموت.
– تقابل الطرفان في سهل "قوصوه"، فكانت معركة مهولة ومروعة، سقط فيها الكثير من القتلى من الطرفين ولكنها إنتهت بانتصار العثمانيين، وكان من نتائج هذه المعركة ضياع إستقلال بلاد الصرب، ودخولها في حوزة الدولة العثمانية، بالإضافة إلى إنتشار الدين الإسلامي بين الصربيين و في البلقان و توطيد حدود الدولة العثمانية.
– تعد معركة قوصوه أهم إنجاز في عهد السلطان مراد الأول[39].

8 ـ أهمية مراد الأول:

[38]- كارل بروكلمان، المرجع السابق ، ص 416
[39]- كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص 418

تكمُن أهميَّة مُراد الأوَّل بِنجاحه في الارتقاء بِالإمارة العُثمانيَّة إلى طور الدولة، وقد مهَّدت وضعيَّة الفُتُوح السبيل لِتطوير النظام الانكشاري وإحداث تغييرات هامَّة في نُظم الإمارة، ما ساعد على وضع أُسس الهيكل المركزي فيها.

ترك السُلطان مُراد وراءه دولةً بلغت مساحتها حوالي 500,000 كلم^2 تقريبًا، منها حوالي 291,000 كلم ^{2} في البلقان وما يزيد عن 208,000 كلم ^{2} في الأناضول، وأدخل انتصاره في قوصوه مُعظم البلاد البلقانيَّة ضمن ديار الإسلام لِمُدَّة 500 سنة، وبهذا فإنَّ مُرادًا زاد حُدود الإمارة التي ورثها عن والده أورخان أكثر من خمسة أمثال في مدى حوالي 29 سنة، إذ كانت مساحتها عندما تسلَّمها 95,000 كلم.^{2}

توسَّعت الإدارة العُثمانيَّة في عهد مُراد الأوَّل بِمقدار خمس مرَّات لِما كانت عليه، كما ازداد عدد السُكَّان، بحيثُ أصبح هذا العهد يُعدُّ نُقطة تحوُّلٍ فاصلةٍ في الحلقة التاريخيَّة للانتقال إلى طور الدولة. أدَّى الانتشار العُثماني الواسع في البلقان إلى ظُهُور مناطق حُدوديَّة جديدة كانت هدفًا لِحركة هجرة تُركيَّة وإسلاميَّة واسعة، وعلى الرُغم من المُقاومة التي صادفها العُثمانيُّون فإنَّ هدف الاستيطان والسياسة التي طبَّقوها قد أثبتت لهم أنَّهُ من الصعب إجلاؤهم عن البلقان، والمعروف أنَّ مُمارسة عمليَّات نقل السُكَّان إلى المناطق المفتوحة قد بدأت مُنذُ وقتٍ مُبكرٍ بِهدف تدعيم الجهاد وفي الوقت الذي استقرَّ فيه الفاتحون في المناطق المفتوحة جرى دمج القادة المحليين شيئًا فشيئًا عن طريق الإقطاع، ما أحدث تغييراتٍ هامَّةٍ في التركيبة السياسيَّة في البلقان، إذ أنَّ تطبيق نظام الإقطاع العسكري الذي سار عليه العُثمانيُّون، في الأراضي المفتوحة، ألحق قسمًا من الأُمراء المحليين بِنظام التيمار، فأُبطلت حُقوق هؤلاء على السُكَّان، وتساوى المُزارعون في البلقان بِالمُزارعين المُسلمين الأناضوليين في الوضعيَّة الحُقوقيَّة، كما حقَّق هذا الربط الأمن والهُدوء وعزَّز قُوَّة الجيش. وبِفعل أنَّ أُسس نظام الإقطاع العسكري منوطة، بِشكلٍ مُباشرٍ، بِتعمير القُرى، فقد عمل العُثمانيُّون على تشجيع الناس على الهجرة من الأناضول، والعمل، من ناحيةٍ أُخرى، على إقرار السُكَّان المحليين في أماكنهم. وهكذا رسَّخت الإدارة العُثمانيَّة أقدامها في الروملِّي، وجرى إحياء عمليَّة الحياة الاقتصاديَّة من واقع تعزيز الوُجود السُكَّاني في القُرى وتعمير الخربة منها. وأدَّى العُلماء، الذين استقطبتهم فُرص المناصب والمُخصَّصات، والدراويش الغُزاة، الذين وجدوا الفُرصة لِمُمارسة عمليَّة الجهاد، دورًا في تطبيع المُمارسات الإداريَّة الإسلاميَّة المُتميزة بِالتسامُح مع غير المُسلمين. والواقع أنَّ الصدر الأعظم قره خليل باشا الجندرلي أدَّى دورًا أساسيًّا في بناء إدارة مركزيَّة، فأنشأ منصب قاضي العسكر، القاضي الأعلى لِلجُيُوش العُثمانيَّة، وهو في واقع الأمر قاضي القُضاة أي رئيس العُلماء وما يقوم مقام وزير العدل المُعاصر، حتَّى إنشاء منصب شيخ الإسلام لاحقًا، ويجمع بِحُكم
صلاحيَّاته بين رئاسة الإدارة وقيادة الجيش، وأنشأ خزانة الدولة ونظام الدفاتر، وهُما أساس المُؤسسة التيماريَّة، وكان مُتولِّي نظارة الخزانة يُسمَّى «الخزندار»، ومُتولِّي نظارة الدفاتر يُسمَّى «الدفتردار». وتمَّ، في ظل حُكم مُراد الأوَّل، إنشاء منصب «البكلربك» الذي هو أميرُ الأُمراء.

محاصرة البيزنطيين من الغرب وبداية الإحتكاك بالبلقان

1 ـ الفتوحات في أروبا:

أمَّن فتح أدرنة لِلعُثمانيين المركز المُسيطر، إداريًّا وعسكريًّا، على تراقيا، فهي القلعة الرئيسيَّة بين القُسطنطينيَّة ونهر الطونة، وتتحكَّم بِطُرق الحملات العسكريَّة عبر جبال البلقان، وتكفل قدرة الاحتفاظ بِالفُتُوحات الإسلاميَّة في أوروبَّا، كما تُؤمِّن وسيلة التوسُّع نحو الشمال. نتيجة تلك الفُتُوح والانتصارات، خشيت بعض القوى الأوروبيَّة، وبِخاصَّةً التجاريَّة، على مصالحها، فهرولت نحو الدولة العُثمانيَّة لِمُهادنتها. من ذلك أرسلت جُمهُوريَّة راگوزة، التي تقع على شاطئ البحر الأدرياتيكي، سفارة تعرض على مُراد الأوَّل عقد مُعاهدة تجاريَّة مُقابل دفع جزية سنويَّة قدرُها خُمسُمائة دوكا ذهب، وهذه أوَّل مُعاهدة تعقدها الدولة العُثمانيَّة مع دولة مسيحيَّة، وذلك في سنة 766هـ المُوافق 1365م وانطلقت مرَّة أُخرى الدعوة إلى حملةٍ صليبيَّةٍ جديدة، لكن من دون جدوى، في حين تابع العُثمانيُّون توسُّعهم انطلاقًا من أدرنة وگليپولي نحو سائر أنحاء تراقيا، ففتحوا في السنة التالية لِجُلُوس السُلطان مُراد على العرش، أي في سنة 1363م، مدينة فيليَّة، عاصمة الروملّي الشرقيَّة الواقعة إلى الجنوب الشرقي من صوفيا، كما فتحوا مدينتيّ «وردار» و«كوملجنة»، الواقعة إلى الجنوب الغربي من أدرنة، وسيطروا على وادي مريچ ماريتزا الذي يُزوّد القُسطنطينيَّة بِالحُبُوب والحنطة، فعزلوا بِهذا بُلغاريا عن المُمتلكات البيزنطيَّة وبِفتح إقليم تراقيا تمَّ فصل القُسطنطينيَّة عن الأقاليم البيزنطيَّة الغربيَّة في أوروبَّا، وأضحت هذه المدينة، بعد الانتشار العُثماني، مُحاطة، من الجانب الأوروپي، بِالأراضي العُثمانيَّة وفُصلت عن الإمارات المسيحيَّة الصغيرة في شبه جزيرة البلقان، وتاخمت المُمتلكات العُثمانيَّة إمارات الصرب والبُلغار والأرناؤوط، وامتد نطاق ديار الإسلام إلى حُدود جبال البلقان، ممَّا أفزع البابويَّة.

2 ـ الحملة الصليبية لرد العثمانيين:

كان لانتصارات السُلطان مُراد أصداء بعيدة في أوروبَّا، وأثار زحف المُسلمين باتجاه البلقان مُختلف القوى الموجودة في المنطقة، فنهضت لِلتصدي له. فسعى الإمبراطور البيزنطي يُوحنَّا الخامس پاليولوگ إلى الانقضاض على الإمارة العُثمانيَّة الناشئة لِطرد العُثمانيين من المواقع التي فتحوها في عهد أورخان، إلَّا أنَّهُ شُغل بِالمُشكلات التي أثارها متَّى قانتاقوزن، ابن الإمبراطور المخلوع يُوحنَّا السادس. ومن جهة أُخرى، خشي البنادقة من التمدُّد العُثماني في البلقان الذي أخذ يُهدد مصالحهم التجاريَّة في المنطقة، فنهضوا لِوقفه، وأنزلوا عشرين ألف جُندي في الروملِّي من أجل هذه الغاية، غير أنَّ هذه القُوَّة مُنيت بِهزيمة على يد العُثمانيين، وبِالتالي فشلت البُندُقيَّة في وقف التمدُّد العُثماني باتجاه البلقان. وأدَّت وفاة أسطفان دوشان، قيصر الصرب، في سنة 756هـ المُوافق1355 م إلى تضعضُع الصربيين وتمزُّقهم، فلم يعد لديهم القُدرة على مُقاومة العُثمانيين. وخشي يُوحنَّا إسكندر، قيصر البُلغار، من الزحف العُثماني، فسعى إلى كسب ود العُثمانيين على الرُغم من اعتراض لويس الأوَّل ملك المجر والإمبراطور البيزنطي يُوحنَّا الخامس. نتيجة إخفاقات القوى البلقانيَّة، التمس الإمبراطور البيزنطي المُساعدة من الغرب الأوروپيّ، ووعد البابا الدُخُول في طاعة الكنيسة اللاتينيَّة مُقابل مُساعدة عسكريَّة، لكن تشدُّد الطرفين: الكاثوليك والأرثوذكس، حال دون تحقيق ذلك[40].

في ذات الوقت، كان المُلُوك المسيحيُّون الآخرون المُجاورون لِلدولة العُثمانيَّة قد اضطربوا وتخوَّفوا من امتداد الفُتُوحات الإسلاميَّة إلى ما وراء جبال البلقان، إذ لو اجتازها المُسلمون بدون مُعارضة ومُقاومة في مضايقها لم يقوَ أحد بعد ذلك على إيقاف تيَّار فُتُوحاتهم، ويُخشى بعدها على جميع ممالك أوروبَّا من العُثمانيين. فطلب هؤلاء المُلُوك من البابا أوربان الخامس أن يتوسَّط لدى مُلُوك أوروبَّا الغربيين لِيُساعدوهم على مُحاربة المُسلمين وإخراجهم من القارَّة العجوز. فاستجاب البابا لهم وكتب إلى مُلُوك أوروبَّا يحُثُّهم على تجهيز حملة صليبيَّة لِحرب المُسلمين. والواقع أنَّ البابويَّة لم تُعر الفُتُوح العُثمانيَّة في أوروبَّا أيَّة أهميَّة طالما كانت على حساب البيزنطيين الهراطقة، في نظرها، ولكن عندما بدأت هذه الفُتُوح تُهدِّد الدُول الأوروپيَّة الكاثوليكيَّة الخاضعة لِسُلطة البابا، سعى أوربان الخامس لِإعداد حملةٍ صليبيَّةٍ ضدَّ العُثمانيين.

وفي يوم الجُمُعة الذي صادف يوم 15جُمادى الآخرة 764 هـ المُوافق 31 مارس1363 م، اجتمع البابا بِملك فرنسا يُوحنَّا الثاني وبِملك قبرص بُطرس الأوَّل في أبينيون حيثُ تعهَّدا بِالمُشاركة في الحملة الصليبيَّة القادمة وبِأن يسيرا إلى الأراضي المُقدسة ويستخلصا بيت المقدس من المُسلمين. وفي 14ربيع الآخر765 هـ المُوافق1364 م، اجتمع البابا بِبعض الأقطاب الإقليميَّة لِمُناقشة مُشكلة المُرتزقة الجوَّالين الذين كانوا يُعيثون فسادًا في أوروبَّا الغربيَّة، ومن بين هؤلاء الأقطاب كان أماديوس السادس قُمَّس ساڤوي، الذي تعهَّد بِالانضمام لِهذه الحملة أيضًا، مدفوعًا بِقرابته من الإمبراطور البيزنطي. كان موعدُ انطلاق الحملة يُفترض أن يكون في يوم 1مارس1365 م، لكنَّ شيئًا لم يحصل، إذ تخاذل ملك فرنسا عن تلبية نداء البابا، وفضَّل ملك قُبرص أن يشُن حملةً على السلطنة المملوكيَّة في مصر، كان لِغزوة الإسكندريَّة أثرٌ سيِّء على إعدادات الحملة الصليبيَّة المُوجهة ضد العُثمانيين، إذ قاطع المُسلمون

---

[40]- محمد سهيل طقّوش، المرجع السابق ، ص 51

جميع الدُويلات التجاريَّة الأوروبيَّة، فتأثر اقتصادها القائم على الملاحة البحريَّة، لِذا انسحبت جُمهُوريَّة البُندُقيَّة من هذا الحِلف المُقدَّس، ولم تنجح مُحاولات البابا بِإقناعهم عن العُدول عن رأيهم، فاضطرَّ أماديوس السادس أن يُرسل إليهم سفارة ليُحاول إقناعهم بِنفسه، لكنَّهُ لم يستحصل منهم إلَّا على قادستين لِنقل الجُنُود في البحر. كما رفضت جُمهُوريَّتا جنوة ومرسيلية المُشاركة كي لا تتأثر علاقاتهما التجاريَّة مع المُسلمين سلبًا، فاضطرَّ أماديوس السادس إلى قيادة الحملة الصليبيَّة بِنفسه

انطلق أماديوس السادس من البُندُقيَّة على رأس أُسطولٍ بحريٍّ في شهر شوَّال سنة 767هـ المُوافق سنة 1366م، وأبحر حتَّى وصل مضيق الدردنيل، حيثُ انضمَّ إليه أُسطولٌ صغير بِقيادة أمير جزيرة لسبوس وفيلقٌ بيزنطيّ بِقيادة بطريرك القُسطنطينيَّة. هاجمت القُوَّات المُشتركة مدينة گليپولي التي فتحها المُسلمون زمن السُلطان أورخان، وضيَّقت عليها الحصار حتَّى اضطرَّت حاميتها العسكريَّة العُثمانيَّة إلى الانسحاب منها ليلًا، وفتح الأهالي أبواب مدينتهم إلى الصليبيين في اليوم التالي لقاء الأمان على أنفُسهم، وأرسل أماديوس السادس إلى البابا يُبشِّره بِالنصر

خِلال تلك الفترة كان الإمبراطور البيزنطي يُوحنَّا الخامس قد سافر إلى بودا عاصمة المجر لِلتفاهم مع الملك لويس الأوَّل لِلتنسيق معه على حرب العُثمانيين ولِيُقسم يمين الولاء والطاعة لِلبابا، وكي يتعهَّد بِترك الأرثوذكسيَّة واعتناق المذهب الكاثوليكي، وفي أثناء طريق عودته إلى

بيزنطة عبر بلاد بُلغاريا، اعترضهُ جُنودٌ بُلغار بِأمرٍ من القيصر يُوحنَّا شيشمان، الذي منعه من المُرور عبر بُلغاريا، وحاصرهُ في مدينة ڤيدين على أطراف المملكة. ويبدو أنَّ الإمبراطور البيزنطي راسل أماديوس السادس طالبًا النجدة، ولمَّا كان الأخير غير مُفوَّض من البابا لِقتال النصارى الأرثوذكس فإنَّهُ لم يُحرِّك ساكنًا إلى أن تلقَّى مبلغًا من المال من الإمبراطورة هيلانة قانتاقوزن، فأبحر على طول الساحل البُلغاري واستولى على عدَّة مُدن وارتكب فيها فظائع دمويَّة، حتَّى أذعن القيصر البُلغاري وأطلق سراح الإمبراطور البيزنطي، فعاد مع أماديوس السادس إلى القُسطنطنيَّة. عاود أماديوس السادس حربه ضدَّ المُسلمين بِمُجرَّد عودة الإمبراطور يُوحنَّا الخامس إلى عرشه، على الرُغم من تراجُع عدد قُوَّاته بِفعل الخسائر التي مُني بها خِلال حصار گليپولي وخِلال مُغامرته العسكريَّة في بُلغاريا، فانتزع قلعة «إينياقوسية» الواقعة على الشاطئ الشمالي من بحر مرمرة من العُثمانيين، وأحرق لهم حصنًا آخر، وردَّ غارةً شنَّها العُثمانيُّون على مدينة سوزوپول البُلغاريَّة الساحليَّة، وتوَّج انتصاراته بِأن استولى على مدينة أدرنة وأعادها إلى الحظيرة البيزنطيَّة. ولمَّا تمَّ لهُ ذلك شعر أماديوس السادس أنَّهُ أوفى نُذوره، فأمضى ما تبقَّى من حملته يتباحث مع الإمبراطور البيزنطي في تحقيق الوحدة الكنسيَّة بين روما والقُسطنطينيَّة، ثُم عاد إلى البُندُقيَّة بعد أن سلَّم جميع ما استولى عليه إلى الإمبراطور

3 ـ مهاجمة أدرنة:

بعد انسحاب الصليبيين، هاجم السُلطان مُراد أدرنة بجيشٍ عظيم فلم تصمد أمامه، واستردَّها في سنة 767هـ المُوافقة لِسنة 1366م. ولِأهميَّة موقعها الجُغرافي ووُجودها على مُلتقى ثلاثة أنهُر، نقل إليها السُلطان تخت المملكة العُثمانيَّة، فجعلها عاصمةً لِدولته، واستمرَّت هكذا إلى أن فُتحت مدينة القُسطنطينيَّة سنة 857هـ المُوافق 1453م،وكان لِسُقُوط المدينة في يد المُسلمين مُجددًا، وتحويلها لِعاصمة أبرز دولة إسلاميَّة تُقارع الغرب صدىً سيِّء في الدوائر الحاكمة في أوروپَّا، وبِخاصَّةً البابا.

والحقيقة أنَّ العُثمانيين كانوا بِحاجةٍ إلى نقل عاصمتهم من مدينة بورصة التي أضحت في مركزٍ لا يصح معهُ أن تكون عاصمة لهم، بعد هذا التمدُّد في أوروبَّا، نظرًا لِبُعدها عن مركز الفُتُوح. وبعد تداول مُراد الأوَّل مع وُزرائه وقع اختيارهم على مدينة أدرنة والواقع أنَّ فتح أدرنة واتخاذها عاصمةً لِلدولة أمَّن المركز المُسيطر، إداريًّا وعسكريًّا، على تراقيا، فهي القلعة الرئيسة

بين القُسطنطينيَّة ونهر الطونة، وتتحكَّم بِطُرق الحملات العسكريَّة عبر جبال البلقان، وتكفل قُدرة الاحتفاظ بِالفُتُوح العُثمانيَّة في أوروبَّا، كما تُؤمِّن وسيلة التوسُّع نحو الشمال،أضف إلى ذلك أنها كانت مدينة ذات استحكامات حربيَّة منيعة. جمع مُراد في عاصمته الجديدة كُل مُقوِّمات النُهُوض بِالدولة وأُصُول الحُكم، فتكوَّنت فيها فئات المُوظفين وفرق الجيش وطوائف رجال القانون وعُلماء الدين، وأُقيمت دُور المحاكم وشُيِّدت المدارس المدنيَّة والمعاهد العسكريَّة لِتدريب الإنكشاريَّة .وبِهذا تحوَّلت أدرنة إلى مدينة ذات طابع إسلامي مشرقي بعد أن كان طابعها رومي

4 ـ الدخول العثماني في البلقان:

- بدأت المرحلة الأهم من مراحل التواجد الإسلامي في شرق القارة الأوروبية بصورة منظمة سياسيا وعسكريا على يد الدولة العثمانية منذ بواكير وجودها.
- لقد أفلح القادة العثمانيون منذ الجد المؤسس عثمان غازي في تحقيق أهداف السلاجقة بالتوسع غربًا.
- منذ عهد أورخان بن عثمان تمكن ابنه سليمان من فتح مدينة غاليبولي، وكان وجود العثمانيين في هذه المنطقة يعني التمهيد السريع للدخول في القارة الأوروبية.
- لقد رسّخ سليمان من هذا الوجود حين استدعى جماعة من الأناضول للإستقرار في غاليبولي، وعاملهم معاملة حسنة، وأعطاهم الأموال والهدايا والمكافآت، بل وتمكن من نقل جيشه إلى هذه المدينة التي عدّها بمثابة القاعدة العسكرية المتقدمة للدولة الناشئة الجديدة.
- منذ ذلك الحين ظهر تشكيل الإنكشارية، ووضع قانون خاص أهمه الطاعة المطلقة للسلطان، وكان لهذا الجيش الإنكشاري أثره الكبير في الفتوحات العثمانية التي خاضت غمارها الدولة في آسيا وأوروبا.
- مراد الأول تمكن من فتح مدينة أدرنة واتخذها عاصمة له بعد أن كانت في بورصة، وكانت الطريق المؤدية للقسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية.
- أصبحت أدرنة مركز القيادة العامة لمراد في أوروبا، وسار منها نحو البلقان وفتح حصونها، وعقد صلحًا بينه وبين ملك اليونان.

- تمكن مراد الأول من التصدي للبيزنطيين وأجبرهم على دفع الجزية واحتل نيس التابعة للصرب.
– أجرى صلحًا مع ملك الصرب مقابل جزية سنوية يدفعها للعثمانيين، كل ذلك أجبر ملك البلغار على طلب الصلح من مراد الأول.
- لقد تمكن مراد الأول من جعل الأراضي البيزنطية في الروملي "البلقان" التي خضعت له بمثابة الحصار الخانق على العاصمة البيزنطية القسطنطينية، وبهذه الفتوحات أصبحت إمارة آل عثمان متاخمة لكل من الصرب والبلغار وألبانيا.

- أراد مراد أن ينظم الحكم العثماني ويقسمه، فعاد إلى أدرنه، وعمل على تقوية حكم العثمانيين في الأماكن الجديدة التي فتحتها الدولة العثمانية في شرق أوروبا.
- منذ ذلك الحين وضع تقسيمات للجيش العثماني إلى: أمير الأمراء الأناضولي في آسيا الصغرى، وأمير الأمراء الروم إيلي في شرق أوروبا، وجعل قاعدتها أنقرة [41].

5 ـ التقارب البيزنطي العثماني:

لم تُحقق حملة أماديوس السادس الصليبيَّة طُمُوح الإمبراطور البيزنطي يُوحنَّا الخامس، لا سيَّما وأنَّ الخطر العُثماني ما يزالُ يُحيط بالقُسطنطينيَّة، ولأنَّ البنادقة بدأوا يميلون إلى التفاهُم مع مُراد الأوَّل حفاظًا على مصالحهم التجاريَّة؛ ما دفعهُ إلى التوجُّه إلى إيطاليا في شهر مُحرَّم من سنة 771هـ المُوافق فيه شهر آب (أغسطس) سنة 1369م، وأناب عنهُ في الحُكم ابنه أندرونيقوس، فاجتمع بِالبابا وقدَّم لهُ فُروض الولاء والطاعة امتثالًا لِأمره، وتمادى حين تخلَّى عن مذهبه الأرثوذكسي وأعلن أنَّهُ كاثوليكيّ المذهب، كما توصَّل إلى اتفاقٍ مُناسبٍ مع البنادقة لِمنع تحالُفهم مع مُراد الأوَّل، فمنحهم جزيرة تينيدوس التي تُهيمن على مدخل الدردنيل. وعلى الرُغم من أنَّ الإقدام على تغيير المذهب كان ذا طابع سياسي، إلَّا أنَّهُ أثَّر تأثيرًا سلبيًّا على الجبهة الداخليَّة بِصفةٍ عامَّة، والأوساط الدينيَّة بِصفةٍ خاصَّة، بِالإضافة إلى أثره على الأحداث التالية، إذ أنَّ النتيجة كانت زيادة الانقسام، والفشل في تلقِّي المُساعدة، بل إنَّ صُعُوباتٍ ماليَّةٍ حالت دون مُغادرة الإمبراطور لِلبُندُقيَّة، واضطرَّ ابنه الثاني عمانوئيل إلى جمع المال اللازم

وحمله بِنفسه إلى البُندُقيَّة، وأعاد والده إلى القُسطنطينيَّة في 17ربيع الآخر773 هـ المُوافق 1371 28م.

اضطرَّ الإمبراطور البيزنطي، تجاه الاندفاع العُثماني في تراقيا وعدم تلقِّي أيَّة مُساعدة جديَّة من الغرب الأوروبي، إلى التفاهم مع مُراد الأوَّل في سنة 773هـ المُوافقة لِسنة 1372م، فاعترف به سيِّدًا له وقبل بِدفع الجزية وتقديم مُساعدة عسكريَّة عند الحاجة، وتجلَّى هذا التفاهم بين العاهلين بِتعاونهما في قمع تمرُّد ولديهما صاووجي چلبي بن مُراد وأندرونيقوس بن يُوحنَّا الخامس اللذين طمعا في الحُكم، وانتهت هذه الثورة بِقتل صاووجي كما أُسلف، أمَّا أندرونيقوس فقد سُملت عيناه وزُجَّ به في السجن، وأشرك الإمبراطور معهُ ابنه عمانوئيل في الحُكم. ويبدو أنَّ جُهُود الإمبراطور البيزنطي في المُحافظة على تفاهُمه مع مُراد الأوَّل لم تنجح تمامًا، وبِفعل استمرار النزاع الأُسري في القُسطنطينيَّة الذي تطلَّع العاهل العُثماني إلى استغلاله لِصالحه، فقد ظلَّ أندرونيقوس يُشكِّلُ خطرًا بِفعل طُمُوحه المُتمثل بِالإطاحة بِوالده عن العرش، وبِخاصَّةً بعد أن نجح في الهرب من سجنه في سنة 778هـ المُوافق فيه سنة 1376م ولجأ إلى الجنويين في غلطة، واتصل من هُناك بِمُراد الأوَّل طالبًا منهُ المُساعدة في الوُثُوب إلى العرش البيزنطي مُقابل بعض التنازُلات، فأمدَّهُ مُراد الأوَّل بِقُوَّةٍ عسكريَّةٍ مكَّنتهُ من دُخُول القُسطنطينيَّة في 29 ربيع الأوَّل778 هـ المُوافق فيه 2آأغسطس1376 (م، فألقى القبض على والده وأخويه عمانوئيل وتُيُودور وسجنهم، واعتلى العرش باسم أندرونيقوس الرابع، وردَّ گليپولي إلى مُراد الأوَّل، وبِذلك أضحى لِلعُثمانيين موطئ قدمٍ ثابتٍ في أوروپَّا، كما أضحى الإمبراطور البيزنطي تابعًا لِمُراد الأوَّل. وهكذا تمكَّن مُراد الأوَّل بِفضل سياسته السليمة، من التصرُّف مُجددًا، وفق المصلحة الإسلاميَّة في أوروپَّا، وهو لم يكن قد طُرد منها مُطلقًا، لكنَّ توجُّهه أصبح الآن التوسُّع لِكي يُصبح العاهل الوحيد في المنطقة، إذ لم تمضِ ثلاثة أعوامٍ على سجن الإمبراطور يُوحنَّا

[41]- إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق ، ص37 –38

الخامس وولديه حتَّى نجحوا في الهرب، فعبروا البوسفور إلى مُراد الأوَّل، وعقد معهُ يُوحنَّا الخامس اتفاقيَّة، تعهَّد لهُ فيها بِدفع جزية سنويَّة ضخمة وتقديم مُساعدة عسكريَّة عند الحاجة، وتنازل لهُ عن مدينة فيلادلفية، آخر المُمتلكات البيزنطيَّة في الأناضول، مُقابل مُساعدته في استعادة عرشه. وتمَّ الأمرُ فعلًا على هذا الشكل، واضطرَّ أندرونيقوس الرابع إلى اللُّجوء مُجددًا إلى حُلفائه الجنويين في غلطة. وساهم مُراد الأوَّل في تفتيت الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة من واقع استغلال الصراع الأُسري، ففرض على تابعه البيزنطي أن يعترف بِأندرونيقوس الرابع وليًّا

لِعهده، والتنازُل لهُ عن بعض المُدن، فتجزَّأت بِذلك الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة إلى إماراتٍ صغيرةٍ عدَّة، فحكم الإمبراطور يُوحنَّا الخامس القُسطنطينيَّة، وأندرونيقوس الرابع الأراضي الواقعة على ضفاف بحر مرمرة، وعمانوئيل في سالونيك، وتُيُودور في المورة. والواضح أنَّ فشل الإمبراطور يُوحنَّا الخامس في الحُصُول على مُساعدةٍ جديَّةٍ من البابا والغرب الأوروبي؛ دفعهُ إلى الدُخُول
في طاعة مُراد الأوَّل، وبِخاصَّةً بعد ازدياد خُطُورة الموقف الناتج عن تجدُّد النزاع الأُسري في القُسطنطينيَّة، بِالإضافة إلى أنَّ دُول أوروبَّا الشرقيَّة، مثل الصرب وبُلغاريا، لم تتمكَّن من وقف التقدُّم العُثماني مُنفردة، بعد إحجام دُول أوروبَّا الغربيَّة، المُنهمكة بِمُشكلاتها، عن تقديم المُساعدة، وعجز البابا عن حشد جُيُوش الغرب في حملةٍ صليبيَّة، ما جعل العُثمانيين أسياد الموقف

6 ـ الفتوحات في بلغاريا:

في سنة 1379م، اتَّحد قيصر الصرب لازار بلينانوڤيچ، الذي تربَّع على تخت المملكة بعد وفاة أسطفان أوروك، مع يُوحنَّا شيشمان قيصر البُلغار على مُقاتلة العُثمانيين ومُحاربتهم ودفعهم إلى الخلف. وما أن علِم السُلطان مُراد بِهذا الأمر حتَّى قام على رأس جُيُوشه واجتاح بُلغاريا بِهدف فتح ما تيسَّر من حُصُونها وفض التحالف الصُربي البُلغاري. وكانت باكورة فُتُوحات العُثمانيين هي حُصُون جبال رودوپس المنيعة،] فسارت فرقة من الجيش بِقيادة داود باشا إلى قلعة راكوڤيتسا، وضربت عليها الحصار فترة، لكنَّها امتنعت عليهم، فشدَّد داود باشا الحصار عليها حتَّى اضطرَّت حاميتها إلى طلب الأمان، فاستجاب لهم، ففتحوا له أبواب القلعة[. ثُمَّ سار العُثمانيُّون إلى حصن اتسپينة الاستراتيجي، فحاصره داود باشا طيلة تسعة أشهر أبدى خِلالها المُقاومون بسالةً وشجاعة كبيرتينونظرًا لِصُعوبة تضاريس المنطقة والخوف من امتداد الحصار لِأكثر من هذا وحُلُول فصل الشتاء بِثُلُوجه وبرده القارس في تلك المنطقة، مما يُحتمل معهُ هلاك الكثير من الجُنُود وانفصالهم عن الجيش الرئيسي بِسبب انقطاع مسالك الجبل، أقدم داود باشا على سد الينابيع التي تُزوِّد الحصن بِالمياه، فلم يكن أمام حاميته من طريقٍ لِلخلاص سوى الاستسلام، ففتحوا الأبواب لِلمُسلمين، وأمَّنهم داود باشا على أموالهم وأنفُسهم ومُقدَّساتهم. بعد ذلك سقطت قلعة باطكون بِيد العُثمانيين وقُتل قائدها جرجير في الهُجُوم النهائي عليها ثُمَّ تلتها مدينة استانيماكا[. وهكذا تتابع سُقُوط الحُصُون والقلاع البُلغاريَّة

بِيد المُسلمين رُغم المُقاومة العنيفة التي أبداها البُلغار، وأصبحت الطريق سالكة أمام العُثمانيين ناحية مدينة صوفيا المُهمَّة. أُصيب يُوحنَّا شيشمان بِالهلع لمَّا أدرك أنَّ سُقُوط صوفيا أصبح قاب قوسين أو أدنى، وأدرك أنَّ تحالفه مع القيصر الصربي لن يأتي بِالنتائج المرجُوَّة، فمال إلى التفاهم مع مُراد الأوَّل، لكنَّهُ لم يتمكَّن من ذلك بِسبب استغلال أخيه يُوحنَّا سراتسيمير لِلصراع الدائر، حيثُ تحصِّن في صوفيا واتخذها لِنفسه، فاضطرَّ يُوحنَّا شيشمان إلى مُقاتلة أخيه

واسترجاع المدينة منه، ثُمَّ طلب المعونة من أمير دبروجة المدعو «دبروتيتسا» لِيُعاونه على دفع العُثمانيين بعيدًا عن صوفيا، لأنهم لو أخذوها يُخشى بعدها على سُقُوط العاصمة ترنوڤو بِيدهم، كما أنَّهم بِسيطرتهم عليها يتحكمون بِجميع الطُرق الواصلة ما بين بلاد الصرب ومقدونيا. لكنَّ الأمير سالِف الذِكر كان مُنشغلًا بِمُحاربة الجنويين وبِبعض الأُمور السياسيَّة مع إمبراطوريَّة طرابزون الروميَّة التي كان يُحاول فرض تعيين صهره على عرشها أمام هذا الواقع كان على القيصر البُلغاري التصدي لِلعُثمانيين وحده، وما أن دخلت سنة 1381م حتَّى سار السُلطان مُراد على رأس جيشه لِفتح صوفيا وما جاورها من بلادٍ في القسم الجنوبي الغربي من قيصريَّة ترنوڤو، فاشتبك مع الجيش البُلغاري في وادي زلاتيتسا وألحق بهم هزيمةً فادحة، ثُمَّ سار البكلربك لاله شاهين باشا على رأس مُقدمة الجيش إلى صوفيا وضرب الحصار عليها. بلغ تعداد الحامية البُلغاريَّة في المدينة نحو 15,000 جُندي، يُساعدهم 4,000 جُندي صربي أرسلهم لازار، وكان قائدهم عسكريّ بُلغاري عُرف باسم» البان يانوقا»، أمَّا الجيش العُثماني فبلغ تعداده 10,000 جُندي. دام حصارُ المُسلمين لِصوفيا ثلاث سنوات تمكَّنت خلالها حامية المدينة من الصُمُود بِوجه العُثمانيين حتَّى تسرَّب اليأس إلى فؤاد لاله شاهين باشا وقرَّر رفع الحصار والعودة إلى أدرنة، لولا أن قام أحد سُكَّان المدينة الذي اعتنق الإسلام بِالقبض على البان يانوقا عندما خرج من المدينة لِيصطاد، وسار به إلى المُعسكر العُثماني حيثُ سلَّمه لِلاله شاهين باشا، فاصطحبه الأخير معهُ إلى أسوار المدينة لِيراه الجُنُود المُحاصرين، ولمَّا رأى هؤلاء أنَّ قائدهم أُسر استسلموا وفتحوا أبواب المدينة لِلعُثمانيين. نتيجة هذا الانتصار، تحقق قيصرا الصرب والبُلغار أنَّهُما عاجزان عن مُكافحة العساكر الإسلاميَّة، فأبرما الصُلح مع السُلطان على أن يتزوَّج السُلطان شقيقة القيصر البُلغاري وعلى أن يدفع لهُ القيصران خراجًا سنويًّا مُعينًا. وبِهذا ضُمَّت صوفيا وقسمًا من بُلغاريا إلى الدولة العُثمانيَّة، وأخذت تكتسي بِالكِسوة الإسلاميَّة شيئًا فشيئًا

7 ـ الفتوحات في الأناضول:

كانت الإمارات التُركمانيَّة في الأناضول قد ضُعُفت واضمحلَّت واختفى تأثيرها السياسي تمامًا تقريبًا عندما اتسعت الإمارة العُثمانيَّة وتحوَّلت إلى قُوَّةٍ إقليميَّةٍ كُبرى تُقارع الممالك والإمارات المسيحيَّة في أوروپَّا والإمبراطوريَّة البيزنطيَّة. ومن أسباب انقسام وضعف الإمارات التُركمانيَّة أنَّ النُموّ العُثماني كان قد جرَّدها من طاقاتها البشريَّة الحيَّة باستقطاب المُقاتلين والعُلماء الذين أغرتهم المناصب التي أتاحتها لهم الحاجات الإداريَّة لِلإمارة العُثمانيَّة، ففقدت الإمارات التُركمانيَّة جانب كبير من مُبرر وُجودها، ومالت إلى التحالف مع العُثمانيين. وهكذا، تحالف مُراد الأوَّل مع أمير كرميان سُليمان چلبي الكرمياني الذي زوَّج ابنته لِلشاهزاده بايزيد بن مُراد، وكانت مدينة كوتاهية مهرًا لهُما، كما تنازل لهُ عن بعض المُدن، منها إزمير، وأجبر مُراد الأوَّل أمير الحميد على التنازُل لهُ عن بلاده في منطقة بسيديا لِقاء ثمنٍ رمزيٍّ قدره 80,000 قطعة ذهبيَّة، وضمَّها إلى الأملاك العُثمانيَّة، ومن تلك البلاد: آق شهر، وبك شهري، وسيدي شهري، ويالواج، وشرقيّ قرهآغاج. وهاجم السُلطان العُثماني إمارة تكَّة وضمَّ قسمًا من أراضيها باعتراف أميرها عُثمان چلبي.[وفي السنة التالية اعترفت أيضًا إمارة جندرلي بِالسيادة العُثمانيَّة، وأعقب هؤلاء أمير أماسية في سنة 1385م. وبِذلك يكون مُراد الأوَّل قد ضمَّ بعض مُمتلكات الإمارات التُركمانيَّة، ولم يبقَ أمامه إلَّا إمارة القرمان.

8 ـ حرب إمارة القرمان:

خشي أميرُ القرمان علاءُ الدين بن علي الداماد من نُموّ الإمارة العُثمانيَّة وامتداد أركان مُلكها يومًا فيومًا وخُضُوع جيرانه المُسلمين لها الواحد تلو الآخر، وعلِم أنَّهُ سيفقد استقلالهُ لِصالحها عاجلًا أم آجلًا، لِذلك حاول القرمانيُّون إنشاء حلفٍ مع الإمارات التُركمانيَّة الأُخرى لِلتصدي لِلعُثمانيين، وفي الواقع كان الأمير علاءُ الدين يعمل على إثارة حمية الأُمراء المُستقلين وتحريضهم على قِتال العُثمانيين مُنذ أن انتقل المُلك من السُلطان أورخان إلى مُراد إلَّا أنَّهُ فشل في خلق تكتُّلٍ مُناهضٍ له، وذلك بِفعل إقدامه على التوسُّع على حسابهم، ما دفع هؤلاء إلى التماس المُساعدة من الإمارة العُثمانيَّة. ورُغم أنَّ بني جندرلي وبني قرمان صاهروا العُثمانيين وارتبطوا بِروابط قرابة متينة، لكنَّهم كانوا بعيدين عن فكرة المُوافقة على إحداث وحدةٍ أناضوليَّة لِصالح العُثمانيين، ولمَّا خضع الجندرليين لِمُراد وتعنَّت الأمير القرماني وظهرت سوء نيَّته

لِلسُلطان العُثماني، لم يعُد هُناك مجالٌ لِتفادي القتال، وفي هذا الجو أُضرمت نار أوَّل حرب عُثمانيَّة - قرمانيَّة ما بين سنتيّ 1386 و1387م. كانت إمارة قرمان تعتمد على مملكة قبرص اللاتينيَّة وعلى السلطنة المملوكيَّة التي ادَّعت (أي إمارة قرمان) أنَّها تحت سيادتها. وعندما عُقدت مُعاهدة صداقة بين السُلطانين العُثماني مُراد الأوَّل والمملوكي الملكُ الظاهر سيفُ الدين برقوق في سنة 1386م، حُرمت الإمارة القرمانيَّة من المُساندة المملوكيَّة، ورُغم ذلك تجاسر الأمير علاءُ الدين على احتلال مدينة بك شهري التي أخذها من إمارة الحميد العُثمانيَّة. أمام هذا التحدي، نهض مُراد الأوَّل لِقتال علاءُ الدين، وسار إلى القرمان على رأس جيشٍ بلغ تعداده 70,000 جُندي، وبِمُناورةٍ عسكريَّةٍ آنيةٍ أجراها وليّ عهده الشاهزاده بايزيد - التي أكسبته لقب «يلدرم» أي «البرق» - انهزم القرمانيين بِسُرعةٍ فائقة وتشتت جيشهم، فولُّوا الأدبار هاربين. نتج عن هذه الهزيمة أن سيطر العُثمانيُّون على مدينة أنقرة عاصمة القرمانيين، بِالإضافة لِبعض القلاع والحُصُون، ما دفع الأمير القرماني إلى طلب الصُلح لِيحفظ ما تبقَّى من إمارته، حتَّى أنَّهُ ذهب بنفسه إلى السُلطان وقبَّل يدهُ اعتذارًا عمَّا بدر منه، فأجابهُ السُلطان مُراد إلى ذلك وزوَّجهُ ابنته نفيسة مَلَك سُلطان خاتون لِتمتين عرى التحالف بينهما. والواقع أنَّ السُلطان مُراد لم يكن يرغب في زج نفسه في قضايا الأناضول الوُسطى، وكان يعلم أنَّ عامَّة المُسلمين في بلاد الأناضول يتطلَّعون إليه كحامٍ لِلإسلام والمُسلمين وأنَّ قُلُوبهم معه وليست مع أُمرائهم، وكان يعلم أنَّ كُلَّ انتصارٍ يُحرزه في البلقان سيكون السبب في انضمام إمارةٍ جديدةٍ في الأناضول إلى العُثمانيين دون قِتال، ولولا فتنة الأمير القرماني ما كان لِينقل ميدان الحرب من أوروبَّا إلى آسيا، فيمَّم وجهه شطر الغرب مُجددًا .

9ـ معركة بلوشنيك:

تنُصُّ بعض المصادر الغربيَّة على أنَّ الجيش العُثماني عندما هاجم مدينة أنقرة عاصمة القرمانيين، كان يضم بعض الوحدات العسكريَّة الصربيَّة من الإمارات والإقطاعيَّات الصغيرة التي فتحها العُثمانيُّون في مقدونيا وأطراف الصرب، فشارك هؤلاء الأُمراء والإقطاعيُّون بِالمعركة مع السُلطان مُراد على أمل الحُصُول على ما تيسَّر من الغنائم. لكنَّ لمَّا تمَّ النصر على القرمانيين، أصدر السُلطان أوامره بِمنع الاعتداء على الناس وعدم التعرُّض لِأحد في نفسه ومُمتلكاته، فلم يستجب الجُنُود الصربيُّون وقادتهم لِهذا الأمر، فانقضوا على المدنيين العُزَّل

وصادروا بعض مُمتلكاتهم، وتعرَّضوا لِآخرين بِالإيذاء. ولمَّا علِم السُلطان بما جرى أمر بِالقبض على هؤلاء جميعًا وإعدامهم لِيكونوا عبرةٍ لِلآخرين. كان من نتيجة هذه العُقُوبة التي

أنزلها السُلطان مُراد بِالصربيين أن أعلن أغلب أُمرائهم وسادتهم التابعين لِلدولة العُثمانيَّة العصيان، وراسلوا القيصر لازار بلينانوڤيچ مُعلنين دُخولهم في طاعته ووُقوفهم إلى جانبه ضدَّ العُثمانيين، وحثُّوه على قتالهم مُجددًا. ووفقًا لما تنص عليه المصادر، فإنَّ أميرًا صربيًّا وحيدًا من مدينة إشقودرة راسل السُلطان مُراد مُعلنًا دُخوله في طاعته وعدم انجراره وراء أبناء ملَّته، بِشرط أن يُرسل إليه السُلطان جيشًا لِيحميه من أي هُجومٍ مُحتمل من الإمارات المُجاورة التي باتت تنظر إليه كخائن. بناءً على هذا، أمر السُلطان مُراد قائد فرقة الآقنجيَّة قوله شاهين بك أن يُجهِّز عساكره ويسير إلى إشقودرة لِنُصرة الأمير سالِف الذِكر وصد أي هُجومٍ مُحتملٍ على بلاده، هذا وتُشير مصادر أُخرى إلى أنَّ قائد هذه الحملة كان البكلربك لاله شاهين باشا وليس قوله شاهين[9]. [9] سار شاهين بك على رأس جيشٍ وصل عدد أفراده إلى 20,000 جُندي حتَّى وصل إشقودرة، وهُناك وصلتهُ معلوماتٍ تُفيد بأنَّ الصربيين احتشدوا وخرجوا إليه يطلبون القتال، فتقدَّم إلى قرية «پلوشنيك»، المُجاورة لِبلدة «پروكوپليه» في جنوب الصرب مُنتظرًا وُصولهم. وهُناك شقَّ قسمٌ من الجُنُود عصا الطاعة (وفق المصادر الغربيَّة حوالي 18,000 جُندي) وانشغلوا بِسلب ونهب القُرى، فلم يبقَ مع شاهين بك سوى 2,000 جُندي صامدون في مواقعهم. وعلِم الصربيُّون ما حلَّ بِالمُعسكر العُثماني بِواسطة كشَّافتهم، فسار جيشٌ بلغ تعداده 30,000 جُندي، أغلبهم من الفُرسان المُدرعين بِالدُروع الثقيلة، وهاجموا قلب الجيش العُثماني مُباشرةً، فصمد العُثمانيُّون بِوجههم لِفترة، لكنَّهم لم يتمكنوا من دفعهم إلى الخلف، فاضطرُّوا إلى الانسحاب بِقيادة شاهين بك .ثُمَّ حوَّل الصربيُّون انتباههم إلى الآقنجيَّة المُشتتين في القُرى، فهاجموهم وفتكوا بِأغلبهم. فقد الجيش العُثماني المُشارك في هذه المعركة حوالي 60% من جُنوده، وتقول الروايات الصربيَّة أنَّ البطل القومي «ميلوش كوبلوڤيچ» (قاتل السُلطان مُراد مُستقبلًا) كان من المُشاركين في هذه المعركة، وأنَّهُ أُصيب أثناء القتال بِسهمٍ عُثماني. يقول بعض المُؤرخين، مثل المُؤرِّخ الكرواتي «ڤيكوسلاف كاليچ» أنَّ قُوَّاتٍ بشناقيَّة ساندت الجيش الصربي في هذه المعركة وأنَّهُ لولا مُساندة تلك القُوَّات ما كانت الصرب لِتنتصر على العُثمانيين بِالمُقابل، يقول المُؤرِّخ العُثماني مُحمَّد نشري أنَّ هذه المعركة لم تقع على الإطلاق وأنَّ ما قيل عنها مُجرَّد كلام ابتدعهُ الغربيُّون ولا صحَّة له، وفي الواقع فإنَّ القيصر الصربي كان يخشى الدُخول في حربٍ مع العُثمانيين لأنَّهم كانوا قد فتحوا مدينة نيش ممَّا اضطرَّهُ إلى استرضاء السُلطان مُراد ومُوافقته على دفع جزية ضخمة له وبأن يدخل في تبعيَّته ويُقدِّم 1,000 جُندي يضعهم تحت تصرُّفه

10 ـ فتح سالونيك:

سعى الأمير البيزنطي عمانوئيل بن يُوحنَّا صاحب سالونيك إلى نقض علاقة التبعيَّة بِمُرادٍ الأوَّل، ما دفع هذا الأخير إلى مُهاجمة سالونيك في سنة 789هـ المُوافقة لِسنة 1387م، فأضحى عمانوئيل في وضع سيِّءٍ، وبِفضل وعي السُكَّان، الذين كانوا يكنُّون الكراهيَّة له، استسلمت المدينة في 19ربيع الأوَّل المُوافق فيه 9نيسان (أبريل(، وفرَّ عمانوئيل منها، وحاول اللُجوء إلى أصدقائه، لكنَّ أحدًا لم يستقبله بما في ذلك والده الإمبراطور في القُسطنطينيَّة، الذي عدَّ موقف ابنه المُعادي لِلعُثمانيين يتعارض مع سياسته، وتسبَّب في فُقدان ثاني مُدن الإمبراطوريَّة. هذا وقد فُتحت المدينة على يد الصدر الأعظم قرهخليل خيرُ الدين باشا الجندرلي، الذي اشتهر بِخبراته وكفائته العسكريَّة العالية.[42] واضطرَّ أُمراء تساليا، بعد فتح سالونيك، إلى الاعتراف بِسُلطة العُثمانيين الذين أضحت مُمتلكاتهم تُجاور أراضي حاكم أثينية اللاتيني الدوق نيربو الأوَّل، والد زوجة تُيُودور وحليفه، ولم يعد أمام هذا الأخير سوى الخُضُوع لِسُلطة مُراد الأوَّل الذي ثبَّتهُ في إمارة المورة .

11 ـ معركة قوصوه "كوسوفو" وفتح البلقان:

بسبب الانتصارات العثمانية في ("الروملي"/البلقان)، وتماس هذه الإمارة الإسلامية الناشئة على الحدود مع البلغار والصرب، قام تحالف صليبي ضد العثمانيين تكون من ملك الصرب مع أمراء ألبانيا على مواجهة العثمانيين، وقد حاول ملك البلغار شيشمان الانضمام إلى ملك الصرب لازار، إلا أن القوات العثمانية باغتته بهزيمة قاسية احتلت على إثرها نصف بلاده[42].

أما ملك الصرب لازار فقد أسرع صوب الألبان الأرنؤوط للإستنجاد بهم في تحالف ضد السلطان مراد، إلا أن مراد الأول أسرع في طلبهم، وتقابل الفريقان في منطقة قُوصوه "كوسوفو"

سنة 1389م، دَافع فِي خلالها الصربيون دفاع الأبطال، وَبقيت الْحَرْب بَينهمَا سجالا مُدَّة من الزَّمن، وأخيرا فرّ صهر الْملك لازار وَمَعَهُ عشرَة آلَاف فَارس، وإلتحق بِجَيْش الْمُسلمين، فدارت الدائرة على الصربيين، وجُرح لازار، وَوَقع أسيرًا فِي أيدي العثمانيين فَقَتَلُوهُ، وبهذه الْوَاقِعَة المهمة الَّتِي بَقِي ذكرها شهيرا فِي أوروبا بأسرها زَالَ اسْتِقْلَال الصرب، كما فقدت البلغار والروملي والأناضول استقلالها من قبلُ، وكما ستفقد اليونان وَغَيرهَا الِاسْتِقْلَال فِيمَا بعد.

وأثناء تفقد الأمير المنتصر مراد الأول ساحة القتال، إذ بجندي صربي جريح من بين القتلى يقوم فيطعن مرادًا بخنجر فيقتله، يستشهد الأمير في ساحة المعركة عن عمر بلغ الخامسة والستين، يقول المؤرخ البيزنطي هالكو نديلاس عن مراد الأول "قام مراد بأعمال هامة كثيرة، دخل 37 معركة سواء في الأناضول أو في البلقان، وخرج منها جميعًا ظافرًا".

بعد النصر في معركة كوسوفو استغل العثمانيون ضعف ملوك البلقان وعملوا على توسع وجودهم في هذه المناطق، فقد قاموا بإخضاع الصرب، وشنوا غارات على ألبانيا، وما بين عامي (1393-1395) م نجح العثمانيون في إخضاع مناطق كبيرة من بلغاريا، و بعد انتصارات متلاحقة وخاصة بعد معركة روفين في ماي1395م، تمكن السلطان بايزيد الأول بن مراد، السيطرة على كامل بلغاريا حتى أنه أعدم القيصر شيشمان، "ومنذ ذلك الحين فصاعدًا لا توجد دولة عازلة بين الدولة الكاثوليكية الأولى وأراضي بايزيد" [43].

[42]- محمد سهيل طقّوش، المرجع السابق ، ص 52

[43]- محمد سهيل طقّوش، المرجع السابق ، ص 52

السلطان بايزيد الأول ومحاولة بناء دولة مركزية

صاعقةُ الإسلام السُلطان بايزيد خان الأوَّل بن مُراد بن أورخان العُثماني ويُعرف اختصارًا باسم بايزيد الأوَّل أو يلدرم بايزيد و«يلدرم» كلمة تُركيَّة تعني «البرق» أو الصاعقة وهو لقب أطلقهُ السُلطان مُراد الأوَّل على ابنه بايزيد لِسُرعة تحرُّكه وتنقُله بِرفقة الجُند، لِذلك كثيرًا ما يُعرف هذا السُلطان في المصادر العربيَّة باسم «بايزيد الصاعقة» أو «بايزيد البرق». هو رابع سلاطين آل عُثمان وثاني من تلقَّب بِلقب سُلطانٍ بينهم بعد والده مُراد، وهو أيضًا ثاني سُلطانٍ عُثمانيٍّ صاحب جُذورٍ تُركمانيَّة - بيزنطيَّة. والدته هي گُلچيچك خاتون. تولَّى بايزيد عرش الدولة العُثمانيَّة بعد مقتل والده مُراد في معركة قوصوه، وأثبت كفاءته العسكريَّة وقُدراته التنظيميَّة لمَّا تمكَّن من قيادة الجُيُوش العُثمانيَّة إلى النصر على الصليبيين في المعركة المذكورة. ورث بايزيد عن أبيه دولةً واسعةً، فانصرف إلى تدعيمها بِكُل ما يملك من وسائل. ثُمَّ إنهُ انتزع من البيزنطيين مدينة فيلادلفية، وكانت آخر مُمتلكاتهم في آسيا الصُغرى، وأخضع البُلغار سنة 1393م إخضاعًا تامًا، وجزع الغرب عندما سمع بِأنباء هذا التوسُّع الإسلامي في أوروبَّا الشرقيَّة، فدعا البابا بونيفاس التاسع إلى شن حربٍ صليبيَّةٍ جديدةٍ ضدَّ العُثمانيين. وقد لبَّى النداء عدد من مُلُوك أوروبَّا كان في مُقدمتهم ملك المجر بعد أن أنشأ جيشًا من المُتطوعين المُنتسبين إلى مُختلف بُلدان أوروبَّا الغربيَّة .ولكنَّ بايزيد هزمهم في معركة نيقوپولس وردَّهم على أعقابهم. وقد حاصر بايزيد القُسطنطينيَّة مرَّتين مُتواليتين، ولكنَّ حُصُونها المنيعة ثبتت في وجه هجماته العنيفة، فارتدَّ عنها خائبًا. ولم ينسَ بايزيد وهو يُوجِه ضرباته الجديدة نحو الغرب، أنَّ المغول يستعدُّون لِلانقضاض عليه من جهة الشرق، وخاصَّةً بعد أن ظهر فيهم رجلٌ عسكريٌّ جبَّار هو تيمور الشهير باسم تيمورلنك، والمُتحدِّر من سُلالة جنكيز خان .لِذلك عمل بايزيد على تعزيز مركزه في آسيا الصُغرى استعدادًا لِلموقعة الفاصلة بينه وبين تيمورلنك. وهكذا خفَّ الضغط العُثماني على البيزنطيين وتأخَّر سُقُوطُ القُسطنطينيَّة في أيدي المُسلمين خمسين سنةً ونصفًا [44].

1 ـ صفاته و خِصاله:

اشتهر بايزيد في التاريخ بِشخصيَّته القويَّة، فكسب احترام الجيش والحُكَّام والشعب، وعُرف عنه إرادته الصُلبة وذكاؤه وجسارته، كما اشتهر بانفتاحه العقلي، لكنَّهُ كان يميل إلى الهيمنة، ولا يهتم كثيرًا بِآراء الآخرين، فافتقر بِذلك إلى فن الحُكم الذي اتصف به والده. وكان يتصرَّف باستعلاء في علاقاته مع القوى المسيحيَّة. تنسب عدَّة روايات إليه شُرُوعه بِعادة قتل الإخوة، إذ قيل أنَّهُ أوَّل سُلطان عُثماني قتل أخاه لِضمان عدم مُنافسته على السُلطة. وقيل أيضًا أنَّهُ أوَّل سُلطانٍ عُثماني ظهر بِمظهر الأُبَّهة، فارتدى الملابس المُخمليَّة المُطرَّزة بِالذهب، وتناول الطعام من أطباقٍ ذهبيَّةٍ وفضيَّة، فخرج بِذلك عن أُسلُوب عيش أبيه مُراد وجدَّاه أورخان وعُثمان الذين كانوا يعيشون حياةً زاهدة أقرب إلى حياة المُتصوفة والدراويش، وقيل أيضًا أنَّهُ أوَّل من احتسى الخمر في الأُسرة العُثمانيَّة. كما اشتهر بايزيد الأوَّل بِحُبِّه الكبير لِلصيد وبِموهبته الشعريَّة المُميزة.

---

[44]- محمد سهيل طقّوش، المرجع السابق ، ص 55

2 ـ توليّه السلطة:
شارك بايزيد في قتال الحلف الصليبي الذي تكوَّن بِزعامة القيصر الصربي لازار بلينانوڤيچ بِهدف القضاء على المُسلمين نهائيًّا وطردهم من أوروبَّا الشرقيَّة بعد أن توسَّع نطاق فُتُوحاتهم فيها وضُمَّت إليهم الكثير من البلاد والمناطق. إذ دارت بين العُثمانيين والصليبيين معركةٌ هائلة في سهل قوصوه كوسوڤو يوم 19جُمادى الآخرة791 هـ المُوافق 12 يونيو 1389 م، تولَّى فيها بايزيد قيادة ميمنة الجيش العُثماني، فيما تولَّى شقيقه يعقوب قيادة الميسرة، وقاد السُلطان مُراد القلب. أظهر بايزيد شراسةً كبيرةً في الدفاع عن ميمنة الجيش، فعجز الصليبيُّون عن اختراقها رُغم هُجُومهم المُدرَّع الكبير، ولمَّا توقف هُجُومهم مالت الكفَّة لِصالح العُثمانيين، ذلك أنَّ الدُروع الثقلية لِلفُرسان والخُيُول الأوروبيين أصبحت عقبة أمامهم، فلم يقدروا على المُناورة والتحرُّك بسلاسة، عكس المُشاة والفُرسان العُثمانيين الذين يرتدون الملابس الخفيفة، فهاجم بايزيد الصربيين بِقوَّةٍ وكبَّدهم خسائر فادحة. وبعد مُرور 8 ساعات انهزم الصليبيُّون وانسحبوا من الميدان بعد أن خسروا عددًا كبيرًا من الجُنود، وجُرِح القيصر لازار ووقع أسيرًا في يد العُثمانيين مع عددٍ من نُبلائه، تُشيرُ أكثر الروايات شُيُوعًا، أنَّ السُلطان مُراد كان يتجوَّلُ

مُتفقدًا ساحة المعركة والقتلى والجرحى بعد تمام النصر، فانقضَّ عليه جُندي صربي يُدعى كان يتظاهر بِالموت، وفاجأه بِطعنةٍ قاتلةٍ من خنجره المسموم كانت هي القاضية عليه بعد قليل، وسقط القاتِل قتيلًا تحت سُيُوف الإنكشاريَّة مُباشرةً .
ثارت ثائرةُ بايزيد لمَّا طُعن والده، وأمر بدايةً بِقتل الأسرى الصليبيين ثأرًا له، لكنَّ مُرادً رفض ذلك رفضًا قاطعًا، فقال لِقادته وإبنيه: لَا تُعَذِّبُوا الأَسرَى وَلَا تُؤذُوهُم، ولَا تَسلِبُوهُم، ولم تدُم مُعاناة السُلطان مُراد طويلًا، فأسلم الروح بعد قليل، بعد أن أوصى بِولاية العهد إلى ابنه بايزيد. ولمَّا تُوفي السُلطان مُراد عفا بايزيد عن جميع الأسرى باستثناء القيصر لازار ونُبلائه، الذين أمر بإعدامهم، فأُعدموا على الفور. بايع الجُند والوُزراء بايزيد سُلطانًا على العُثمانيين في ميدان الحرب بِسهل قوصوه مُباشرةً بعد وفاة والده، فاكتسب بِذلك الشرعيَّة، وأُتيحت لهُ فُرصة الإمساك بِزمام السُلطة، ولم تحدث أيَّة متاعب بِخُصوص خلافة السُلطان مُراد بعد مقتله المُفاجئ نظرًا لِشهادة الجميع على تعيينه بايزيد خليفةً له. وهكذا تولَّى بايزيد السلطنة وقد شارف على التاسعة والعشرين من عُمره، وأمر بِإرسال جُثمان والده إلى بورصة لِدفنه فيها إلى جانب جدِّه أورخان ووالد جدِّه عُثمان [45].

3 ـ إنجازاته على المستوى السياسي:
- بايازيد الأول حكم من 1390-1402م.
- اعتماده على إدارة مركزية بدلا من المركزية الإقطاعية البيزنطية القديمة.
- اتخاذه لإجراءات تنظيمية عامّة بدلا من الضرائب المجحفة التي سلّطت على طبقة الفلاحين.
- كان له موقف من الطّبقات النبيلة العسكرية الوطنية، فباستثناء أولئك الذين أشهروا السّلاح في وجهه، فقد أدخل أفرادها في خدمته العسكرية والمدنية، وكانوا يتمتعون بنفس الإمتيازات والحقوق التي يتمتع بها الأتراك أنفسهم [46].
- الإمارات التي لم تتبع الدولة العثمانية أخضعها بالمصاهرة (له 8 أبناء).

---

[45]- محمد فريد بك، المرجع السابق ، ص48
[46]- خليل إينالجيك، المرجع السابق، ص24 – 25

4 ـ إنجازاته على المستوى العسكري:

- تولّى عرش آل عثمان بعد مراد الأول ابنه بايزيد، وعند ذلك كانت الدولة قد اتسعت حدودها بشكل كبير، فانصرف إلى تدعيمها بكل ما يملك من وسائل، وانتزع من البيزنطيين مدينة آلاشهر، وكانت آخر ممتلكاتهم في آسيا الصغرى.

- أخضع البلغار عام 1393م إخضاعًا تامًا فجزع "سيجموند" ملك المجر من هذا التوسع العثماني، خصوصًا بعد أن تاخمت حدود بلاده مناطق السيطرة العثمانية، فاستنجد بأوروبا الغربية، فدعا البابا" بونيفاس التاسع " إلى حملة صليبية جديدة ضد العثمانيين لمنعهم من التوغل في قلب أوروبا.

- قرّر مباشرة أن يحاصر القسطنطينية (وصل في البلقان إلى الدانوب)، حاصر بايزيد القسطنطينية مرتين متتاليتين، ولكن حصونها المنيعة صمدت في وجه هجماته العنيفة، فإرتد عنها خائبًا.

- عمل بايزيد على تعزيز مركزه في آسيا الصغرى استعدادًا للموقعة الفاصلة بينه وبين تيمورلنك [47].

5 ـ تحقيق وحدة الأناضول:

أمضى بايزيد شتاء سنة 792هـ المُوافقة لِسنتيّ 1390 - 1389م في عاصمة بلاده أدرنة، وعمل على تحصينها وتجديد أبنيتها وعمارتها ومرافقها ووقف على شؤونها الضروريَّة، واستقبل عدَّة سفارات أجنبيَّة أتت لِتهنئته على تولّي عرش آل عُثمان، من أبرزها سفارة جُمهُوريَّة البُندُقيَّة بِرئاسة فرانشيسكو كويريني، التي أكَّد لها التزام العُثمانيين بِالمُعاهدات التجاريَّة المُبرمة بينهم وبين البنادقة، وتنص بعض المصادر أنَّ بايزيد استخفَّ بِسُفراء الجُمهُوريَّات الإيطاليَّة وتصرَّف معهم بِطريقةٍ تعكس ثقته بِنفسه وقُوَّة جُيُوشه، وفي سبيل الحيلولة دون قيام أي تحالف مسيحي جديد في البلقان، أرسل بايزيد بضعة فرقٍ عسكريَّة بِقيادة يغيد باشا وخوجة فيروز وغيرهما، أغارت على تُخُوم ڤيدين في بُلغاريا، وعلى حُدود الأفلاق والبشناق، فكان هذا أشبه بِاستعراضٍ عسكريٍّ لِقُوَّة العُثمانيين وتنبيه لِلقوى

المسيحيَّة ألَّا تُقدم على شيء. ودعَّم بايزيد السيطرة العُثمانيَّة على تلك النواحي من البلقان بأن دعى جماعاتٍ كبيرةٍ من المُزراعين والفلَّاحين التُركمان إلى الانتقال إلى تلك البلاد والاستقرار فيها، فانتقل قسمٌ منهم وأقام في المنطقة المُحيطة بِمدينة إسكوپية في مقدونيا، وعندما اطمئنَّ بايزيد إلى الجبهة الأوروپيَّة، آثر تطبيق سياسةٍ جديدةٍ لِلقضاء على قُوَّة الأُمراء التُركمان في الأناضول وتحقيق وحدته تحت الرَّاية العُثمانيَّة. فقد كانت الدولة العُثمانيَّة، في الوقت الذي قُتل فيه مُراد الأوَّل في قوصوه، قد توسَّعت في أراضي الأناضول على حساب القوى الموجودة فيها من الإمارات التُركمانيَّة، واتَّبع مُراد الأوَّل سياسة ترك الأراضي المفتوحة في يد حُكَّامها على شكل إقطاعات عسكريَّة، لكنَّ هذه السياسة أثبتت فشلها عند التطبيق العملي، بِفعل استمرار قُوَّة

[47]- محمد فريد بك، المرجع السابق ، ص49 – 50

هؤلاء الحُكَّام واستغلالهم الفُرص لِلاستقلال مُجددًا بِإماراتهم، لِذلك كان القضاء على قُوَّة هؤلاء في مُقدِّمة أعمال بايزيد عندما اعتلى العرش [48].

والواقع أنَّ العاهل العُثماني فضَّل، في بداية حياته السياسيَّة، التفاهم مع أُمراء المُقاطعات في الأناضول وعدم الاصطدام بهم، وبِخاصَّةً الأمير القرماني علاءُ الدين بن علي الداماد، لكنَّ هذا الأخير استغلَّ فُرصة غيابه عن ساحة الأناضول فأعلن العصيان وأنشأ حلفًا ضدَّهُ مُكونًا من القاضي بُرهانُ الدين أحمد بن شمسُ الدين، صاحب سيواس، وأُمراء صاروخان وكرميان ومُنتشا وآيدين وتكَّة، وحتَّى إمارة الحميد التابعة لِلحُكم العُثماني المُباشر. وكان الأمير القرماني قد استغلَّ حادثة مقتل الشاهزاده يعقوب بك بن مُراد لِيُؤلِّب الأُمراء التُركمان على العُثمانيين، مُظهرًا بايزيد بِمظهر مُغتصب العرش والقاتل دون وجه حق. فأعلنت تلك الإمارات أنها لن تسمح بِحُدُوث أي تغيير في الموازين الحاليَّة بين الإمارات الأناضوليَّة، ولن تسمح بِتحقيق الوحدة التُركيَّة الإسلاميَّة تحت قيادة سُلطان مُغتصب كبايزيد. وفي الواقع، كان من الواضح أنَّ إمارة القرمان - المُحرِّك الأساسي لِهذا العصيان - كانت ترى أنها ما دامت لم تتمكَّن من تأسيس الوحدة بين الإمارات السُلجُوقيَّة، فإنها لن تسمح لِلعُثمانيين بِإنجاح ذلك، واستردَّ الأمير يعقوب بن سُليمان الكرمياني الأراضي التي كان قد تنازل عنها والده لِصالح بايزيد عندما زوَّجه ابنته، واستولى القرمانيُّون على كوتاهية، والقاضي بُرهانُ الدين أحمد على قر شهر، كما استولى علاءُ الدين القرماني على بيشهر وتقدَّم نحو إسكي شهر؛ ما هدَّد

كيان الدولة العُثمانيَّة، فاضطرَّ بايزيد لِلرد على هذه الانتهاكات، وتلقَّى مُساعداتٍ من بعض القوى المسيحيَّة، التي تُدين بالتبعيَّة الإسميَّة لِلعُثمانيين، أمثال الإمبراطوران

البيزنطيَّان عمانوئيل الثاني ويُوحنَّا الخامس، وقيصر الصرب أسطفان بن لازار، بِالإضافة إلى سُليمان الجندرلي أمير قسطموني

شرع بايزيد، ما أن أنهى أعماله في الروملِّي، بِإعادة ضمِّ الإمارات الأناضوليَّة. وفي الأيَّام الأولى من سنة 1390م تحرَّك نحو الجنوب. ودخل خلال شهريّ فبرايرو مارس بِالتسلسل إلى إمارات كرميان وآيدن ومُنتشا وصاروخان، فهابه أمير آيدين وترك لهُ أملاكه وغادر إمارته وعاش مُطمئن الخاطر في إحدى المُدن الخارجة عن النُفُوذ العُثماني، وكذلك ترك أميرا مُنتشا وصاروخان إمارتيهما واحتميا عند أمير قسطموني. ودخلت إمارات الحميد وكرميان تحت السيادة العُثمانيَّة دون أيَّة مُقاومة، باستثناء إزمير الواقعة تحت سيطرة فُرسان الإسبتاريَّة في رودس. عرض أميرا كرميان والحميد المُنهزمان طاعتهما لِلسُلطان في مُحاولةٍ لِلاحتفاظ بِشيءٍ من النُفُوذ، فقبلها منهُما وأعطى لِكُلٍ منهُما مُقاطعة.' وهكذا انضوت جميع الإمارات التُركمانيَّة، المُطلَّة على بحر إيجة، تحت سيادة الدولة العُثمانيَّة، وأطلَّ العُثمانيُّون على هذا البحر، وتقدَّموا خُطوةً مُهمَّةً باتجاه ضمِّ كامل الأناضول. كما حازوا أُسطول إمارة صاروخان وأعظم موانئ البحر المذكور. بعد تمام هذا الأمر، سار بايزيد بِجُيُوشه نحو مدينة أنقرة، وهي أكبر مراكز الأناضول، وقضى شتاء سنة 793هـ المُوافق1391 م فيها، على أن يزحف في الربيع على إمارة القرمان التي ما فتئ أميرُها علاءُ الدين شوكةً في جنب الدولة العُثمانيَّة والمُنافس الحقيقي لِلعُثمانيين على تزعُّم جميع الإمارات التُركمانيَّة. أقلق قضاء الجيش العُثماني فصل الشتاء في الشمال وفي موقع مركزيّ القاضي بُرهانُ الدين أحمد المُتمركز في القسم الغربي منها، وفي ربيع سنة 1391م، تحرَّك السُلطان مُجددًا من أنقرة إلى إسپرطة ومنها

[48]- محمد سهيل طقّوش، المرجع السابق ، ص 56

دخل مدينة قونية عاصمة القرمانيين، واستردَّ العُثمانيُّون مدينة بيشهر التي استولى عليها الأمير علاءُ الدين، وضمُّوا إلى ممالكهم مدينة آق شهر. [49].
وفي غمرة الانتصارات العُثمانيَّة، تبدَّل الوضع فجأة لِغير صالح العُثمانيين، فقد ثار سُليمان الجندرلي أمير قسطموني على الدولة، بِفعل خشيته من نجاح العُثمانيين وتوحيد هؤلاء لِمنطقة

الأناضول ما يُهدِّد إمارته، فتحالف مع القاضي بُرهانُ الدين أحمد، أمير سيواس، وانضمَّ إليهما أميرا مُنتشا وصاروخان، وأبدى الجميع استعدادهم بِمُساعدة علاء الدين القرماني، الذي كان قد هرب من قونية بعد سُقُوطها بِيد العُثمانيين لِيحتمي في هضبة «طاش إيلي» في قيليقية، ما دفع السُلطان بايزيد إلى تبريد الجبهة القرمانيَّة والتفرُّغ لِلجبهة الشماليَّة، فدعا الأمير القرماني وأمَّنهُ وأخبرهُ بِأنَّهُ سيترك قسمًا من الإمارة لهُ، شرط الإخلاص لِلعُثمانيين وعدم الخُرُوج على تبعيَّتهم، فوافق علاءُ الدين. وبِموجب الاتفاق الذي عُقد بين الجانبين، احتفظ بايزيد بِالأراضي التي ضمَّها مُؤخرًا، وتشمل أجزاء واسعة من أراضي الإمارة القرمانيَّة، ويستمر علاءُ الدين في حُكم ما تبقَّى من أراضي إمارته. وهاجم بايزيد إمارات بحر البنطس الأسود في الشرق والوسط، فضمَّ إمارة قسطموني في شهر رجب سنة 793هـ المُوافق يونيو 1391م وقتل أميرها سُليمان الجندرلي، وهاجم سينوب بحرًا في السنة التالية، واستولى على مُدن صامصون وجانيت وعُثمانجق، وشرع بعد ذلك في إخضاع القاضي بُرهانُ الدين أحمد، فهاجم أماسية، لكن أي اصطدام جدِّي لم يحصل بين الطرفين، إذ فضَّل القاضي الانسحاب أمام الجيش العُثماني القوي، فضمَّ بايزيد سيواس وتوقاد إلى أملاكه. وانضمَّ إليه الأُمراء الصغار في المنطقة واعترفوا بِسيادته عليهم. نتيجةً لِهذا التوسُّع العُثماني، أضحى العُثمانيُّون يُسيطرون على مُجمل الأناضول، وفرض بايزيد الأوَّل سيطرتهُ المُباشرة على المنطقة،

6 ـ حرب صليبية على العثمانيين "معركة نيقوبوليس" (Nicopolice):

معركة نيقوبولس بين العثمانيين والأوروبيين، يعتبرها العديد من المؤرخين آخر حملة صليبية كبرى نُظمت في القرون الوسطى، فهي إحدى المعارك الشهيرة التي وقعت في عهد خلف مراد الأول السلطان بايازيد الأول، تعرف باسم معركة " نيقوبوليس" (Nicopolice) سنة (798هـ/1396م)، و التي جاءت بعد وصول نبأ ضرب العثمانيين الحصار على القسطنطينية، لهذا قامت ضجة دينية تحض أوروبا على المسارعة إلى التصدي لهذا الخطر و لإنقاذ بيزنطا، فرأى ملك المجر سيجموند أن الخطر العثماني سيتعدى البلقان إلى منطقة وسط أوروبا بداية من مملكته " المجر"، فتحرك مسرعًا باتجاه الغرب الصليبي طالبًا منه المساعدة والتحالف، فتكون حلف أوروبي مسيحي للمرّة الثانية تزعمه ملك المجر "سيجموند"

(Sigmond)، بالاشتراك مع البابا "بونيفاس" فحملت الحملة شعار "سحق الأتراك واحتلال القدس" [50].

تدّعم هذا الحلف بانجلترا وفرنسا وألمانيا وسكوتلاندا وسويسرا ولكسمبورغ والأراضي المنخفضة الجنوبية و إسبانيا وبعض الإمارات الإيطالية، وقدّمت البندقية الأموال والأسطول اللازمين، كما إنظمت إلى الحملة قوات من بولندا وإقليم والاشيا، حتى " فرسان القديس

[49]- محمد سهيل طقّوش، المرجع السابق ، ص 57
[50]- كارل بروكلمان، المرجع السابق ، ص 419

يوحنا" في رودس شاركوا بأسطولهم وفرسانهم، وفد بلغ التجمع الأوروبي في هذه المعركة حوالي 20000 ألف مقاتل من مختلف الجنسيات.

اجتازت هذه القوات المشتركة نهر الدانوب، وبلغت مدينة نيقوبوليس، كل ذلك كان يشير إلى أن أوروبا قررت بصورة نهائية إخراج الأتراك من البلقان و دحرهم إلى الأناضول، ثم من بعد ذلك يتحرك هذا الجيش الصليبي إلى القدس لإستخلاصها من حكم المماليك، هذا التحالف وجد في مواجهته السلطان العثماني بايازيد الأول، فدارت بينهما معركة ضارية هُزم فيها الأوروبيون وردوا على أعقابهم.

7 ـ نتائج المعركة:

- إستطاع السلطان العثماني "بايازيد الأول" أن يلحق بأوروبا هزيمة أخرى، إذ خرج العثمانيون من هذه المعركة بغنائم كثيرة وعددا كبيرا من الأسرى، الذين كان من بينهم كثير من مشاهير
الفرسان والنبلاء، الأمر الذي جعل بايازيد الأول يحصل على فدية كبيرة ويدعم نفوذ الدولة العثمانية في شبه جزيرة البلقان.
- إن النصر في "نيقوبوليس" لم يدعم الحكم العثماني في البلقان وحسب، بل رفع أيضا من مكانة العثمانيين في العالم الإسلامي.
- كلّ هذه الإنتصارات التي كان العثمانيون يتحرّكون فيها كانت ترفع من شأنهم لدى الدولة الإسلامية، وخاصّة الدولة الممكوكية التي تحوي الخليفة العباسي.
- بايازيد عندما إنتصر أرسل رسالة إلى القاهرة أخبره بالنصر، وقال له هل تسمح لي أن ألقب نفسي بسلطان الروم فلم ينف المماليك مثل هذه التسمية.

- بايازيد الأول سميّ بالصّاعقة yolderome بسبب موقفه في معركة نيقوبوليس.
- بايازيد الأول سيسلك سلوك مغاير لأسلافه يبدأ ينظم الدولة ترتيب مركزي، أي أنّ كلّ من يتبع الدولة العثمانية مباشرة أوّلا، يصير في عهد بايازيد يتبع السلطة المركزية في العاصمة أدرنة بالقوة أو بشراء الأراضي.
- لولا ظهور تيمورلنك القادم من وسط آسيا لغزو العراق والأناضول والشام، وإنشغال السلطان بايزيد الأول الصاعقة بهذا الغزو المغولي، لكان قد إستغلّ هذه الهزيمة الكبيرة التي أوقعها بالجيوش الأوروبية للتوغل في عمق القارة الأوروبية.
- إن هزيمة بايزيد في معركة أنقرة وأسره ثم قتله على يد تيمورلنك ودخول الدولة العثمانية مرحلة من الضعف والتناحر بين أولاده، جعل الفتوحات العثمانية تتوقف إلى حين في البلقان[51].

[51]- إبراهيم حليم بك، المرجع السابق ، ص48

هزيمة أنقرة وإعادة بناء الدولة
(1402 _ 1421م)

بدأت الدّولة العثمانية تتطور لكن في سنة 1402م يقع أمر يغير مجرى الأحداث، قرّر تيمورلنك مهاجمة ما يقع إلى الغرب من مملكته، وفعلا قام بمهاجمة مملكة العثمانيين التي كانت في معزل عن هجمات المغول، فتمكّن من هزم سلطانهم بيازيد الأول في موقعه أنقرة 1402م، فنشأ بعدها 11 سنة من التناحر بين الإخوة (بيازيد له أربعة أبناء لم يترك وصية محمّد عيسى موسى سليمان)، وكان التناحر شديد بين عيسى ومحمّد، وإنتهى الأمر إبتداءا من عام 1413م بتغلب محمّد الأول، وبتغلبه وضع حدّ نهائي للفوضى التي كانت موجودة وكادت أن تعصف بالدولة العثمانية الفتية[52].

1 ـ هزيمة أنقرة 1402م:

وصل عدد الجُنُود المغول التيموريين إلى حوالي 140,000 جُندي جُلَّهم من الفُرسان و كان في مُقدِّمة الجيش 32 فيلًا حربيًّا مُدرَّعًا وكان من ضمن قادة الجيش جميع أبناء تيمور وأحفاده. أمَّا الجيش العُثماني فقد بلغ تعداد أفراده حوالي 85,000 جُندي وفق تقديراتٍ مُعاصرة، بينما نصَّت مصادر قديمة على أنه بلغ حوالي 120,000، تكوَّن الجيش العُثماني من الفُرسان السپاهية والانكشارية وعساكر الإمارات التُركمانيَّة الأناضوليَّة وعساكر الإمارات والممالك المسيحيَّة البلقانيَّة الخاضعة لِلدولة العُثمانيَّة، وفي مُقدمتها الصرب والأرناؤوط
بدأت المعركة بين أقدر قائدين في زمانهما في سهل أنقرة عند «چُبُق آباد» على بُعد ميل من مدينة أنقرة، يوم الجُمُعة 27 ذي الحجَّة804 هـ المُوافق 28 يوليو1402 م، وأرغمت استراتيجيَّة تيمورلنك العُثمانيين على القتال بعد أن أرهقهم طول المسير، وحصل أثناء المعركة أن انحازت قُوَّات إمارات آيدين ومُنتشا وصاروخان وكرميان التُركمانيَّة، الخاضعة حديثًا لِسُلطة

بايزيد الأوَّل، إلى صُفُوف تيمورلنك لِوُجود أولاد أُمرائهم الأصليين في مُعسكر المغول، وكذلك فعلت القُوَّات التتريَّة التي سبق وراسلها تيمور، ما أضعف كفَّة العُثمانيين وكان أحد الأسباب الكُبرى في هزيمتهم. استمرَّ القتال قائمًا بين الطرفين حتَّى غُرُوب شمس ذلك اليوم، ولم يصمد مع بايزيد إلَّا فرقة الانكشارية البالغ عدد أفرادها حوالي عشرة آلاف جُندي، والعساكر

[52]- محمد سهيل طقّوش، المرجع السابق ، ص69

الصربيَّة، ولكنَّ ثبات تلك الفرق كان محدودًا بِسبب التفوُّق الملحوظ لِجيش تيمورلنك والتعب الظاهر على الجُنُود العُثمانيين. وعلى الرُغم من هذه الظُرُوف المُعاكسة، استمرَّ بايزيد في القتال من دون تقديرٍ لِلنتائج، ولم يُعر التفاتة إلى طلب كُلٍ من الصدر الأعظم علي زاده باشا وابنه الشاهزاده سُليمان بِالفرار، لِذلك انسحب الاثنان بِقُوَّاتهما - البالغة حوالي 30,000 جُندي - باتجاه بورصة، كما انسحبت القُوَّات الصربيَّة إلى أماسية وهُزم العُثمانيُّون هزيمة نكراء، ولمَّا حاول بايزيد في النهاية الفرار ليلًا، طوَّقتهُ القُوَّات المغوليَّة عند هضبة چاتالديَّة، ووقع أسيرًا في أيديهم مع ابنه موسى، بينما تمكَّن ابناه مُحمَّد وعيسى من الهرب[53].

واصل تيمورلنك سيره، بعد هذا النصر باتجاه بورصة، فدخلها وأحرقها ممَّا تسبب بِضياع كُل الأرشيف العُثماني العائد لِزمن السلاطين عُثمان الأوَّل وأورخان غازي ومُراد الأوَّل، وحمل معهُ من المدينة المكتبة البيزنطيَّة والأبواب الفضيَّة، كما انتزع القسم الباقي بِأيدي فُرسان الإسبتاريَّة من مدينة إزمير، وسلَّمهُ لِأمير آيدين، وأقام في مدينة أفسس، وارتعد العالم المسيحي مرَّة أُخرى، فقدَّمت جنوة خُضُوعها ودفعت الجزية، وأفرج السُلطان المملوكي في مصر عن رسول تيمورلنك واعترف بِسُلطانه. وأعاد تيمورلنك إلى أُمراء قسطموني وصاروخان وكرميان ومُنتشا والقرمان ما فقدوه من البلاد، وأعطى اثنين من أولاد بايزيد هُما عيسى ومُحمَّد المناطق الأُخرى من الأناضول، أمَّا سُليمان الابن الثالث لِبايزيد فقد هرب إلى أدرنة وتحصَّن بها وقبل أن يكون تابعًا لِتيمورلنك [54].

2 ـ هزيمة أنقرة و مرحلة الشغب 1402-1413م:

- لم ينس بايزيد وهو يوجه ضرباته الجديدة نحو الغرب، أن المغول يستعدون للإنقضاض عليه من جهة الشرق، وخاصةً بعد أن ظهر فيهم رجلٌ عسكري جبّار.

- هو تيمورلنك الشهير المنحدر من سلالة جنكيز خان، لذلك عمل بايزيد على تعزيز مركزه في آسيا الصغرى استعدادًا للموقعة الفاصلة بينه وبين تيمورلنك، وهكذا خف الضغط العثماني على البيزنطيين، وتأخر سقوط القسطنطينية في أيدي العثمانيين خمسين سنة و أكثر [55].

- قرّر بيازيد أن الإمارات يجب أن تفرض عليهم السلطة المركزية، فاستنجدت هذه الإمارات بتيمرلنك المغولي، والذي كان قد دخل دمشق شمالا و سيطر على حلب حماه حمص، كان سينزل إلى القاهرة لولا الإمارات التي إستنجدت به، فلبّى ندائها وصعد لتسوية الخلاف النّاشئ بين السلطان العثماني وأتباعه من الإمارات التركمان.

- تشجَّع العالم المسيحي لاقتراب اللحظة المصيريَّة عندما أصبح الصراع بين بايزيد الأوَّل وتيمورلنك واقعًا لا محالة، إذ إنَّ ما كان يتمناه البابا والحُكَّام الأوروپيُّون والإمبراطور البيزنطي أن تنشب الحرب بين العُثمانيين والمغول. وفعلًا أضحت تلك الحرب وشيكة، وشعرت القُسطنطينيَّة بالارتياح وتنفست الصُعداء، عند اقتراب المعركة، لأنَّ أسوارها كانت واقعة تحت الحصار العُثماني، فأجرى الإمبراطور البيزنطي مُفاوضات مع تيمورلنك وحذا حُذوه شارل السادس ملك فرنسا، وحتَّى إمبراطوريَّة طرابزون الروميَّة الصغيرة أعلنت استعدادها السماح لِتيمورلنك باستخدام مينائها الوحيد، وكذلك وعد أهالي جنوة الذين كانوا يُديرون منطقة پيرا، الواقعة عند القرن الذهبي، بِإرسال سُفُنهم ومنع أيَّة إمدادات عسكريَّة عُثمانيَّة تُحاول العُبُور من

---

[53] - L.Collas: op. cit., p 28.

[54]- محمد فريد بك، المرجع السابق ، ص50 – 51

[55]- كارل بروكلمان، المرجع السابق ، ص420 –421

أوروبَّا إلى آسيا الصُغرى، إذا ما شنَّ بايزيد حربًا هُناك.[84] أدرك تيمورلنك، بعد مُحاولات التقرُّب هذه من جانب القوى المسيحيَّة، أنَّ هذه القوى لا يعنيها شيء سوى أن يقضي الرجلان على بعضهما البعض.

- هب بيازيد الأول ليقابل المغول في معركة أنقرة (موقعه أنقرة في ربيع 1402م)، تقدّم تيمورلنك نحو سهل أنقرة لقتال بايزيد والتي إلتقى فيها الطرفان في "جُبق آباد" شمال تركيا، ودارت معركة طاحنة انهزم فيها العثمانيون ، بيازيد جاء متكبّرا (مستهزءا) فإنهزم و أُسر وحمله المغول معهم عائدين إلى سمرقند عاصمة الدولة التيمورية، حيث عاش بقية أيامه ومات في سنة 1403م [56]. (يقال تيمورلنك وضعه في قفص من ذهب).

- إن هزيمة بايزيد في معركة أنقرة وأسره و القضاء عليه من طرف تيمورلنك، أدى إلى دخول الدولة العثمانية مرحلة من الضعف والتناحر بين أولاده [57].

- جماعة المغول قفلوا راجعين لأنّ تيمورلنك توفي في 1405م، فلم يتوسّعوا على حساب أنقرة، فتيمورلنك أرجع الإمارات إلى مكانها وقفل راجعا ثم توفي في 1405م، فيزول الخطر المغولي في تلك المنطقة.

- الدولة العثمانية بكاملها تزول لأن بيازيد انهزم حيث استصغر هذه المعركة، ولم يحدد من يخلفه، فقد ترك أبناء لم يتفقوا حول السلطة، إقترحوا التقسيم فكانت إحدى عشرة سنة من النزاع حتى 1413م والأمور فوضى، لم يتعيّن سلطان يحكم الدولة.

3 ـ عهد الفترة 1402-1413م:

بعد موت السلطان بيازيد تجزأت الدولة إلى عدّة إمارت صغيرة كما حصل بعد سقوط الدولة السلجوقية، لأن تيمورلنك أعاد إلى أمراء قسطموني وصاروخان وكرميان وآيدين ومنتشا وقرمان ما فقدوه من البلاد، واستقل في هذه الفترة كل من البلغار والصرب، ولم يبق تابعًا للراية العثمانية إلا قليل من البلدان.

ومما زاد الخطر على الدولة عدم اتفاق أولاد بيازيد على تنصيب أحدهم، بل كان كل منهم يدعي الأحقية لنفسه، فنشبت بينهم حروب ضارية، ولكن النصر كان آخر الأمر من نصيب محمد بن بيازيد، المُلقب بمحمد الأول أو" محمد چلبي"، الذي استطاع أن يعيد للدولة بعض ما فقدته من أملاكها في الأناضول[58].

4 ـ إعادة بناء و تنظيم الدولة و مرحلة التوسّعات 1413-1421م:

- استصغر السلطان بيازيد هذه المعركة ولم يحدد من يخلفه وله أبناء حصل أنّهم لم يتفقوا حول السلطة إقترحوا التقسيم، فكانت إحدى عشرة سنة من الفوضى، لم يتعيّن سلطان يحكم

---

[56]- محمد سهيل طقّوش، المرجع السابق ، ص 69

[57]- فليب مانسيل، **القسطنطينية المدينة التي اشتهاها العالم 1453 – 1924**، تر: مصطفى محمد قاسم، ج 1، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأدب، الكويت، 2015، ص28 – 29

[58]- أحمد آق كوندز، ا المرجع السابق ، ص 100

الدولة، حتى سنة 1412م تمكّن أحد الإخوة هو محمّد الأوّل جدّ محمد الفاتح من السيطرة على بقيّة إخوته الذين إنهزموا، (هناك مؤسّستان يساعدان السلطان الجيش والمؤسّسة الدينية) هؤلاء وجدوا في محمد خير خلف لخير سلف.

- تمكن محمد الأول أو محمد جلبي بن بيازيد (ت 824هـ/1421م) من توحيد الدولة العثمانية من جديد، الأمر الذي جعل الفتوحات العثمانية تتوقف إلى حين في البلقان.
- محمّد الأوّل قال أنّ كل الطّريق الذي سلكه والده كان خاطئا، فقلب الأمر وحوّل المسألة من السيطرة والمركزية إلى التعامل النّد للنّد، فيقال الذي أعطى الرّكائز من جديد للدولة هو محمد الأوّل الذي مكث حتى 1421م.
- في نفس الوقت أفهم غيره أن مجال الدولة العثمانية التوسع على حساب دار الحرب أوروبا.
- كان عهده عهد بداية الدولة العثمانية من جديد[59].

إعادة تثبيت الوجود العثماني في البلقان (1421 _ 1451م)

بعد موت السلطان بيازيد تجزأت الدولة إلى عدّة إمارت صغيرة، لأن تيمورلنك أعاد إلى أمراء قسطموني وصاروخان وكرميان وآيدين ومنتشا وقرمان ما فقدوه من البلاد، واستقل في هذه الفترة كل من البلغار والصرب، ولم يبق تابعًا للراية العثمانية إلا قليل من البلدان.

ومما زاد الخطر على الدولة عدم اتفاق أولاد بيازيد على تنصيب أحدهم، بل كان كل منهم يدعي الأحقية لنفسه، فنشبت بينهم حروب ضارية، ولكن النصر كان آخر الأمر من نصيب محمد بن بيازيد، المُلقب بمحمد الأول أو" محمد چلبي" في سنة 1412م ، الذي استطاع أن يعيد للدولة بعض ما فقدته من أملاكها في الأناضول.

1 ـ محمّد الأول ابن بيازيد الأوّل 1412-1421م:

[59]- محمد سهيل طقّوش، المرجع السابق ، ص79 – 84

- لم يتعيّن سلطان يحكم الدولة، حتى سنة 1412م تمكّن أحد الإخوة و هو محمّد الأوّل جدّ محمد الفاتح من السيطرة على بقيّة إخوته الذين إنهزموا، (هناك مؤسّستان يساعدان السلطان الجيش والمؤسّسة الدينية) هؤلاء وجدوا في محمد خير خلف لخير سلف.
- تمكن محمد الأول أو محمد جلبي بن بيازيد (ت 824هـ/1421م) من توحيد الدولة العثمانية من جديد، الأمر الذي جعل الفتوحات العثمانية تتوقف إلى حين في البلقان.
- محمّد الأوّل قال أنّ كل الطّريق الذي سلكه والده كان خاطئا، فقلب الأمر وحوّل المسألة من السيطرة والمركزية إلى التعامل النّد للنّد، فيقال الذي أعطى الرّكائز من جديد للدولة هو محمد الأوّل الذي مكث حتى 1421م.
- في نفس الوقت أفهم غيره أن مجال الدولة العثمانية التوسع على حساب دار الحرب أوروبا.
- كان عهده عهد بداية الدولة العثمانية من جديد.

2 ـ مراد الثاني 1421-1451م:

كان مراد الثاني هو الحاكم السادس للدولة العثمانيَّة، وهو من الحكَّام المتميّزين الذين ساعدوا في استقرار وضع الدولة العثمانيَّة بعد كارثة أنقرة، ودور الفترة، وبذلك كان مكمِّلًا لدور أبيه في إعادة بناء الدولة العثمانيَّة. ومع أنه كان عند توليه الحكم يبلغ سبعة عشر عامًا فقط إلا إنه كان قائدًا حكيمًا موهوبًا،

لم تكن التحدِّيَّات التي واجهت هذا السلطان الشاب عند استلامه للحكم بعد وفاة أبيه المفاجئة سهلة؛ إنما كانت في الواقع بالغة التعقيد، وكان صغر سنِّه دافعًا لأطماع أعداء الدولة أن تتزايد، فبرز من هؤلاء الأعداء الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني، وبرز كذلك الأمراء الأتراك في الأناضول، كما برز بوضوح عدَّة قادة أوروبيين؛ في المجر، والإفلاق، والبوسنة، واليونان، وصربيا، وألبانيا، والبندقية، ويبدو أن فترة السلام النسبي التي عاشتها هذه الدول في أثناء فترة حكم محمد الأول كانت سببًا في إعطائهم الفرصة لتقوية جيوشهم، وتنمية أطماعهم في التخلُّص من كابوس الدولة العثمانية.

حَكَم مراد الثاني الدولة العثمانيَّة ثلاثين سنة، من عام 1421م إلى 1451م، ويُمكن لنا -لسهولة فهم هذه الفترة الطويلة- أن نقوم بتقسيمها إلى أربع مراحل، تتميَّز كلُّ مرحلةٍ منها بصفاتٍ خاصَّة:

المرحلة الأولى: سبع سنوات من سنة 1421م إلى سنة 1428م، وكانت معنيَّةً بتثبيت الأقدام، واستقرار الأمور، وتقليص أطماع الأعداء في الدولة.

المرحلة الثانية: أحد عشر عامًا بدايةً من عام 1428م حتى عام 1439م، وفيها ستبدأ الدولة في التوسُّع واستعادة أملاكها المفقودة.[60].

المرحلة الثالثة: مرحلة صعبة وخطرة، وتمتدُّ لخمس سنوات؛ من 1439م إلى 1444م، وفيها ستتعرَّض الدولة لبعض الأزمات السياسيَّة والعسكريَّة، التي ستُمثِّل تهديدًا حقيقيًّا لاستقرارها.

المرحلة الرابعة والأخيرة: سبع سنوات من عام 1444م إلى 1451م، وفيها ستعود الأمور إلى الاستقرار، ويستعيد السلطان بعضًا ممَّا فقدته الدولة في المرحلة السابقة[61]..

---

[60]- محمد فريد بك، المرجع السابق ، ص55

[61]- محمد سهيل طقّوش، المرجع السابق ، ص 85

- لقد تولّى مراد الثاني عرش السلطنة العثمانية و يبقى في نفس أسلوب والده، أي تثبيت السلطة في أوروبا، تقوم بعض الحركات نتيجة التلاحم الإسلامي البيزنطي في بعض الترتيبات الدينية بين الطرفين، هناك من إدّعى التسامح في عهده,
- استمر بإخضاع المدن والإمارات التي استقلت عن الدولة العثمانية.
- حاصر القسطنطينية، ولكنه لم يُوفق إلى احتلالها[62].
- حاول أن يعيد إخضاع البلقان لسيطرته، ففتح عدّة مدن وقلاع وحاول أن يضم إليه مدينة بلغراد لكنه فشل في اقتحامها، فكان هذا الهجوم إنذارًا جديدًا لأوروبا بالخطر العثماني **(63)**.

3 ـ إعادة تثبيت الوجود العثماني في البلقان (1421 _ 1451م):

من المعارك الشهيرة أيضا التي خاضتها الدولة العثمانية، معركة "فارنا" Varna في بلاد البلقان في يوغسلافيا سنة 1444م، التي أسر فيها الجيش العثماني المنتصر و الذي كان يقوده "مراد الثاني" ما بين 800-900 جندي مسيحي، وقتل فيها "لاديسلاس الثالث" ملك بولونيا، ولأهمية هذا الإنتصار أمر السلطان المملوكي، بذكر اسم السلطان العثماني "مراد الثاني" بعد إسم الخليفة العباسي، والدعاء لأرواح الشهداء في كامل الأقطار المملوكية.

ومن أشهر المعارك أيضا، والتي أظهر فيها العثمانيون مقدرتهم العسكرية والقتالية، معركة "كوسوفا " سنة 1448م، و التي كان تعددا الجيش الأوروبي فيها 100000 ألف مقاتل، يمثلون المجر ألمانيا بولونيا صقلية ونابولي، البابوية، مولدافيا، ومرة أخرى كان النصر فيها حليف العثمانيين.

اعتمادا على المصادر التاريخية الأوروبية، فإن عدد القتلى في الجانب الأوروبي كان 17000 ألف قتيل والباقي أسر، وبلغ شهداء الجيش الإنكشاري العثماني، الذي كان يقوده "مراد الثاني" 4000 شهيد.

كانت معركة "كوسوفا" آخر محاولة عسكرية يقوم بها الأوروبيون لإخراج الأتراك العثمانيين من شبه جزيرة البلقان، إذ بعدها تحولوا من مهاجمين إلى مدافعين، وبقوا على هذه الحال فترة طويلة من الزمن**(64)**.

(62) - L.Collas: op. cit., p 29.

(63)- محمد فريد بك، المرجع السابق ، ص 54

(64)- محمد سهيل طقّوش، المرجع السابق ، ص 97

فتح إسطانبول وبداية عصر جديد 1453م

أدرك الغزاة والفاتحون، منذ أقدم العصور أهمية هذه المدينة الإستراتيجية في الجسر الحيوي الذي يربط ويصل بين القسم الأسيوي للإمبراطورية والقسم الأوروبي، فهي عقدة المواصلات وطريق الملاحة العالمية، ما دعا بـ " نابليون" إلى الإشادة بهذه المدينة بقوله: "....لو كانت الدنيا مملكة واحدة لكانت القسطنطينية أصلح المدن لتكون عاصمة لها.."، وفي هذا السياق تندرج محاولات المسلمين المتكررة لفتحها، لهذا أراد العثمانيون أن يكون لهم السبق في تحقيق أمنية المسلمين التي راودتهم منذ صدر الإسلام.

1 ـ دوافع الفتح:

كان للسُلطان الشَّاب محمد الأول دوافعٌ عدَّة لفتح المدينة منها ما هو مُتوارث عن أسلافه من أجدادٍ ومن المُسلمين السابقين، وأهمُّها الدافع الديني، ومنها ما كان استراتيجيًّا واقتصاديًّا. فمن جهة: انتعشت من جديد، في عهد مُحمَّد الثاني، سياسة الفُتوح والنظام المركزي اللذان كان يجري تطبيقهما في أيَّام بايزيد الأوَّل، فعادت أغلب أنحاء السلطنة العُثمانيَّة موحدة تحت راية سلطانٍ واحد[65]، بعد أن فتتها تيمورلنك عند غزوه الأناضول وأصبح بالإمكان التركيز على التوسّع، وراح تقليد الغزو التُركماني يتحوَّل إلى غايةٍ داخل الإطار الإسلامي، وكان العائق الوحيد أمام مُحمَّد الثاني، لتنفيذ سياسته العالميَّة، هو الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة التي كانت مُنذُ القِدم المُحرِّك الأوَّل للتهديد الصليبي، فكان لا بُدَّ من حل هذه المُشكلة كذلك، ظلَّ الأباطرة الروم وحكوماتهم يُقاومون نصف قرنٍ من الزمن بعد غزوات تيمورلنك، مُعتمدين في ذلك على التلاعب بورقة الأُمراء الطامعين بالعرش العُثماني، والتهديد بشنِّ حملاتٍ صليبيَّةٍ جديدة. وهكذا استغلَّ الإمبراطور قسطنطين الحادي عشر، الذي خلف الإمبراطور يوحنَّا

(65) - L.Collas: op. cit., p 37.

الثامن سنة 853هـ المُوافق 1449م، مرحلة الانتقال من عهدٍ إلى عهد ما أن تربَّع مُحمَّد الثاني على العرش، فهاجم الأراضي العُثمانيَّة في أنطاليا، وحثَّ الأُمراء التُركمان في الأناضول على

الاقتداء به، فاستجاب له أمير القرمان مما دفع السُلطان مُحمَّد إلى مُهاجمة تلك الإمارة، وعندها هدد الإمبراطور السُلطان بأن يُطلق سراح الشاهزاده أورخان چلبي، المُطالب بالعرش العُثماني، ليُرغم السُلطان على تقديم بعض التنازلات، فأبلغ الصدر الأعظم خليل جندرلي باشا أنَّهُ إذا لم يُضاعف المعاش الذي تدفعه الدولة العُثمانيَّة لِرعاية الشاهزاده أورخان، الذي كان يعيش في البلاط البيزنطي، فإنَّ بيزنطية ستجعل هذا الأمير يُطالب بالعرش العُثماني، فكان ذلك حافزًا إضافيًّا للسُلطان يجعله يعقد العزم على التخلّص من مصدر الإزعاج هذا.
من جهةٍ أُخرى، ورِث مُحمَّد الثاني دولةً كانت لا تزال مُنقسمةً إلى قسمين: الأناضول الذي أضحى بلادًا إسلاميَّة اندمجت في حضارة الإسلام مُنذُ زمنٍ بعيد، والروملّي الذي كان قد فُتح حديثًا ولا يزال منطقة ثُغور، وتأثَّر تأثُرًا عميقًا بنظريَّات وتقاليد مُجاهدي الثُغور الذين استوطنوه، كما تأثَّر بمُعتقدات وطُرق الدراويش الصوفيَّة الذين صحبوا هؤلاء المُجاهدين، فكان الوضع يتطلَّب إيجاد صلة بين القسمين، بين العاصمة القديمة بورصة في آسيا الصُغرى، والعاصمة الجديدة أدرنة في الروملّي، وكانت القسطنطينيَّة تُشكِّلُ هذه الصلة. إلى جانب المغزى الديني الكبير للفتح، فقد اعتبر السلاطين العُثمانيين قبل مُحمَّد الثاني أنَّ القسطنطينيَّة هي العاصمة الطبيعيَّة لدولتهم، بل يجب أن تكون عاصمة هذه الدولة لما في ذلك من ضروراتٍ استراتيجيَّةٍ مُلحَّة، إذ أنَّ بقائها في أيدي البيزنطيين من شأنه أن يُهدد المُواصلات وعمليَّات نقل القوَّات العسكريَّة ما بين أملاكهم الآسيويَّة والأوروبيَّة، أمَّا فتحها فإنَّهُ كفيلٌ بتشديد قبضتهم على الأراضي التي يحكُمونها، ويخلع عليهم المهابة والعظمة في العالمين الإسلامي والمسيحي، أيضًا كانت حُكومات أوروبَّا الغربيَّة في ذلك الوقت ترى أنَّ الحكومة البيزنطيَّة حكومة مُنهارة وساقطة لا محالة، فقد تخلَّوا عنها بفعل النكبة التي مُنوا بها في معركة قارنا زمن السُلطان مُراد الثاني، وأخذ الرأي الحكومي الأوروبيّ الغربيّ يعتقد أنَّ فكرة الحرب الصليبيَّة الأوروبيَّة لم تعد مُجدية في مثل الظروف الصعبة التي كانت تمُرُّ بها الإمبراطوريَّة، وبالتالي لم يعد هُناك أمل أمام الإمبراطور البيزنطي إلَّا أن يعتمد على نفسه وعلى قوَّته الذاتيَّة للتصدّي للمُسلمين عندما يُهاجمونه، وحيثُ أنَّ لا وجه للمُقارنة بين قُوَّة الإمبراطوريَّة وقُوَّة السلطنة، كان سُقوطً القسطنطينيَّة بعد معركة قارنا أمرًا مُتوقعًا، يُضافُ إلى ذلك، فإنَّ الحُكومة البيزنطيَّة لم تُرسل فرقًا عسكريَّةً إلى الجيوش الصليبيَّة في ماريتزا وقوصوه ونيقوبوليس لأنَّها فقدت الرغبة في الدفاع عن نفسها، وعجزت عن إقناع مواطنيها الأرثوذكس بأنَّ الاستشهاد في سبيل الوطن

عملٌ مجيد، وكان العُثمانيّون يُدركون كُل ذلك، ويعرفون حقَّ المعرفة تبدُّل الظروف والمُعطيات السياسيَّة في المنطقة، فكانت تلك فُرصةً ينبغي استغلالها.
أخيرًا كان فتحُ القسطنطينيَّة حُلمًا يُراود السلاطين العُثمانيين مُنذ عهد بايزيد الأوَّل، وكانت رغبتهم تقتضي بتحويل دولتهم المحليَّة إلى دولةٍ عالميَّة عبر النجاح حيثُ فشلت الدول الإسلاميَّة السابقة، أي تحقيق نبوءة الرسول مُحمَّد. أضف إلى ذلك أنَّ السُلطان مُحمَّد الثاني كان يطمح أن يكون هو المقصود بالنبوءة، بعد أن تأثَّر بأفكار مُربيه، وفي مُقدمتهم زغان (زغانوس) باشا والشيخ آق شمسُ الدين والمُلَّا أحمد بن إسماعيل الگوراني .فكان الگوراني يُشدد على تلميذه مُحمَّد في صغره بلزوم وضرورة فتح عاصمة الروم، وكان الشيخ آق شمسُ الدين قد بثَّ في نفس السُلطان مُنذُ صغره أمرين، هما: ضرورة مُضاعفة حركة الجهاد الإسلامي ضدَّ الروم وحُلفائهم، وأنَّه هو (أي السُلطان) المقصود بالحديث النبوي. وبهذا شكَّلت

جميع هذه الأسباب دوافعًا قويَّة ضاغطة ومُغرية في الوقت ذاته، هدف السُلطان إلى تحقيقها.[66]

2 ـ محمد الأول و فتح القسطنطينية:

كان محمد الأول ابن مراد الثاني يتربّى في حضن والده، وكان على علم أنّ الدولة قوية لا ينقصها إلاّ الحلقة الضائعة حينما كان أميرا على منطقة طرابزون، وكان يتطلع لتولية السلطة.

لمّا توفي السلطان مراد الثاني ارتقى عرش العثمانيين ابنه محمد، فكان عليه بادئ الأمر أن يُخضع ثورة نشبت ضده في إمارة قرمان بآسيا الصغرى، فاستغل الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الحادي عشر هذا الأمر، وطلب من السلطان مضاعفة الجزية التي كان والده يدفعها إلى البيزنطيين لقاء أسرهم الأمير أورخان، حفيد سليمان بن بايزيد المطالب بالعرش العثماني، فإستاء السلطان محمد من هذا الطلب لما كان ينطوي عليه من تهديد بتحريض أورخان هذا على العصيان، فأمر بإلغاء الراتب المخصص له، وراح يتجهّز لحصار القسطنطينية والقضاء على هذه المدينة في أقرب فرصة ممكنة.

و من الإجراءات التي أقرّها محمّد الفاتح في التمهيد لفتح القسطنطينية:

- عقد مجموعة إتفاقيات سياسية وإقتصادية مع الدول الأوروبية لعزل الإمبراطور البيزنطي " قسطنطين بالبوجاس" عن حلفاءه.
- ضرب الحصار الإقتصادي على المدينة لمنع أيّ نوع من الإمدادات الغذائية والعسكرية لتحطيم معنويات سكانها.
- الرّفع من وتيرة القدرة القتالية لدى الجيش العثماني وتجهيزه لمعدّات حربية، مع إدخال سلاح المدفعية و تعميق روح الإيمان والحوافز الدينية، و رفع معنويات الجنود بتعميق روح الإيمان لديهم، وحبّ الجهاد في سبيل الله، وكانت النتيجة لهذه التربية العقائدية وظهور الجيش العثماني كتلة واحدة متماسكة، كانت مضرب المثل في الإنضباط و الطاعة.
- أما من الجانب البيزنطي فإن الإمبراطور "بالبوجاس" سارع إلى مواجهة خطوات محمد الفاتح، بالمسارعة إلى مناشدة حلفائه من الدول الأوروبية وعلى رأسها بابوية روما في إرسال المساعدات والنجدات العسكرية، لمواجهة هذا الخطر المحدق بها، ورغم أنه وافق على توحيد الكنيستين الشرقية والغربية إلا أن هذا الموقف لم يحقق النتائج المرجوة.

3 ـ التوسُّع الأوَّل:

كان أوّل ما قام به محمد الأول في هذا السبيل تشييده عند أضيق نقطة من مضيق البوسفور قلعة " روملي حصار" القائمة على بعد سبعة كيلومترات من أبواب القسطنطينية، وعندئذ أرسل الإمبراطور قسطنطين بعثة من السفراء إلى السلطان محمد لتحتجّ لديه على ذلك، فلم يلقوا منه جوابًا شافيًا، بل أصرّ على البناء لما في القلعة من أهمية استراتيجية. واستنجد الإمبراطور قسطنطين بالدول الأوروبية فلم تنجده إلا بعض المدن الإيطالية، أما البابا فقد أبدى استعداده لمساعدة الإمبراطور شرط أن تتحد الكنيستان الشرقية والغربية، ووافق قسطنطين على المشروع، ولكنّ تعصّب الشعب حال دون تحقيق ذلك.

4 ـ حصار وسقوط المدينة:

---

[66]- محمد سهيل طقّوش، المرجع السابق ، ص 103

ضرب السلطان الحصار على المدينة بجيش قوامه 100 ألف جندي من المشاة والفرسان المسلحين بالبنادق ترافقهم المدفعية الثقيلة وأسطولاً ضخمًا، وكان يتقدم هذا الجيش الشيوخ

والعلماء والدراويش، ففي 27 ربيع الأول سنة 857ه/6 أفريل 1453م بدأ في محاصرة المدينة برا وبحرا معًا بـ (100) سفينة و كان هذا الحصار التاسع والعشرون والأخير للمدينة، وفي 29 ماي من نفس السنة (مضى 53 يومًا على الحصار)، أعطيت الأوامر بالهجوم، فدخل العثمانيون المدينة بعد أن هُدمت أجزاء كبيرة من أسوارها بفعل القصف المدفعي المتكرر، واشتبكوا مع البيزنطيين في قتال عنيف جدًا دارت رحاه في الشوارع، والواقع أن البيزنطيين استماتوا في الدفاع عن عاصمتهم، ومن هول الهجوم العثماني الكاسح سقط الإمبراطور البيزنطي بعد أن أظهر مقاومة باسلة و لم يجدوا له آثارا. وهذا ما أثر على معنويات المدافعين الذين بدؤوا يتقهقرون وتركوا المدينة تواجه مصيرها المحتوم.

حتى إذا انتصف النهار دخل محمد الأول المدينة وأصدر أمره إلى جنوده بالكف عن القتال، بعد أن قضى على المقاومة البيزنطية ونشر راية الإسلام، اتخذ السلطان محمد لقب "الفاتح" بعد فتح المدينة، وأضاف إليه لقب " قيصر الروم"، على الرغم من عدم اعتراف بطريركية القسطنطينية ولا أوروبا الغربية بهذا الأمر، ونقل مركز العاصمة من أدرنة إلى القسطنطينية التي غيّر اسمها إلى "إسلامبول"، أي مدينة الإسلام أو تخت الإسلام، وأعطى للمسيحين الآمان وحرية إقامة شعائرهم الدينية، ودعا من هاجر منهم خوفًا إلى العودة إلى بيوتهم. وهكذا سقطت الإمبراطورية البيزنطية عند فتح المدينة بعد أن استمرت أحد عشر قرنًا وأكثر [67].

5 ـ أسباب الإنتصار:

أما عن أسباب الإنتصار العثماني فيمكن إرجاعه إلى عوامل أهمها:

- سوء الأحوال الإقتصادية وإضطراب عمليات تموين المدينة، بسبب الحصار البحري الذي فرضه الأسطول العثماني.
- الشرخ الذي تعمق بين العامة والسلطة الحاكمة التي يمثلها الإمبراطور البيزنطي (السّلطة الحاكمة)، وحتى تتفادى شرّ الهزيمة في آخر لحظة، قبل الإمبراطور البيزنطي إجراء مراسيم قدّاس كاثوليكي في كنيسة أياصوفيا، الأمر الذي زاد من الإنقسام بين العامة والسلطة،

وما تقاعس السكان في الدفاع عن مدينتهم إلا تجسيد للتباعد والنفور الذي استفحل أمره في الأيام الأخيرة من حياة الإمبراطورية.

- قوة الجيش العثماني، هذه القوة التي يمكن أن تفسّر بأثر الحماسة الدينية الفياضة، والتعبئة التي أشرف عليها العلماء ومشايخ الطّرق، مما أثر إيجابيا على معنويات الجيش.
- ضخامة القوة و التعدادية لأفراد الجيش مدعمة بأسطول قوامه 180 سفينة وأربعة عشر مدفعية، كان وزن القذيفة الواحدة 12 قنطارا ومداها حوالي ميل واحد.

هذه العوامل مجتمعة كانت وراء إنهزام البيزنطيين وسقوط عاصمتهم التي لم تنفعها أسوارها هذه المرة، ولا عزيمة إمبراطورها هذا الأخير الذي لم تتعدى سلطته أسوار مدينته، بسبب

[67]- فليب مانسيل، المرجع السابق ، 2015، ص23 – 24

إقتطاع جيرانه لأرضه مقابل بعض المال لتعويض عجزه المالي، الذي كان سببه إستنزاف خيرات
الإمبراطورية من أجل الترف وبناء القصور الضخمة والكنائس العظيمة، للتظاهر بالمظاهر الزائفة.

6 ـ النتائج البارزة:

كان من النتائج البارزة لسقوط القسطنطينية:
- العثمانيين حلّو محلّ الإمبراطورية البيزنطية[68].
- بعد الإنتصار إتجه محمد الفاتح إلى قبر الأنصاري أبو أيوب صلّى عليه، ثمّ اتجه إلى أعظم كنيسة في العالم وهي أياصوفيا (الحكمة المقدّسة) صلّى فيها، وحوّلها إلى مسجد,
- تحول نظرة الأوربيين للخطر العثماني الإسلامي من خطر محدود إلى خطر مستفحل يهدد أوروبا بأجمعها.
- إعتبار هذا الفتح عند الكثير من المؤرخين على أنه منعطفا تاريخيا أنهى العصور الوسطى وفتح العصور الحديثة.
- إتخاذ العثمانيين المدينة عاصمة لهم بدلا من أدرنة، وحوّل إسمها إلى إسطانبول أي (دار الإسلام)، وسرعان ما تحولت إلى المركز الفكري الأول في العالم الإسلامي، فعمل السلطان

على تعميرها بإقامة المستشفيات والمدارس والفنادق والمساجد والمصانع، وجلب إليها أمهر الصناع والفنيين من مختلف إتحاد الإمبراطورية.
- سياسة التسامح الديني التي إنتهجها السلطان اتجاه المسيحيين، مما مكن من عودة أعداد كبيرة من سكان المدينة الذين هاجروها أثناء الحصار، ولا يخفى علينا مدى الخدمات التي قدمها هؤلاء لتنشيط مختلف جوانب الحياة الإقتصادية والتجارية [69].

7 ـ التوسعات بعد القسطنطينية:

لم يكن سقوط القسطنطينية آخر طموحات الدولة العثمانية وإنما استمرت في سياسة التوسع في شبه جزيرة البلقان ومنطقة الأناضول، فمحمد الفاتح كان مؤمنا بضرورة إيصال حدود إمبراطوريته- وهي حسب إعتقاد العثمانيين وريثة الإمبراطورية البيزنطية إلى الحدود التاريخية لهذه الإمبراطورية في آسيا، وهذه الحدود تمتد بين سلسلة جبال طوروس في الجنوب والبحر الأسود في الشمال، لهذا راح السلطان يتوسع على حساب إمارة "طرابيزون" الإغريقية، ثم "إمارة قرمان"، وقد وصلت جيوش هذا السلطان إلى شبه الجزيرة الإيطالية حتى مدينة " ترانتو"، وبذلك يكون محمد
الفاتح قد أوصل حدود الإمبراطورية العثمانية غربا إلى الأدرياتيكي وشرقا إلى الهضبة الإيرانية، وبذلك فقد وضع أسس الحكم العثماني في الأناضول والروم إيلي.

تابع السلطان محمد فتوحاته في أوروبا خلال السنوات اللاحقة التي أعقبت سقوط القسطنطينية، فأخضع بلاد الصرب وقضى على استقلالها، وفتح بلاد المورة في جنوب اليونان، وإقليم الأفلاق وبلاد البشناق وألبانيا، وهزم البندقية ووحد الأناضول عبر

- [68] - J. de Hammer Purgstall, Histoire de l'Empire ottoman, depuis son origine jusqu'à nos jours, traduit de l'allemand par J.-J, Hellert, Tome 3, Paris, 1887, p 4.

[69]- خليل إينالجيك، المرجع السابق ، ص41 – 42

قضائه على إمبراطورية طرابزون الرومية وإمارة قرمان، وقد حاول السلطان محمد أيضًا فتح إيطاليا لكن وافته المنية سنة 1481م، فانصرف العثمانيون عن هذه الجهة [70].

ونتيجة لذلك اعتبر محمد الفاتح لدى الكثير من المؤرخين والدارسين المؤسس الحقيقي للإمبراطورية العثمانية، ولذلك لقب "سيد الأرضين" (الروم إيلي والأناضول) و "البحرين" المتوسط والأسود، و هو اللقب الرسمي للسلطان العثماني[71].

وبعد محمد الفاتح إستخلفه في الحكم ابنه "بايازيد الثاني" (1480-1521م)، ورغم أن عصر هذا الأخير لم يعرف توسعات عثمانية، إلا أنه من جهة أخرى، عرف ظهور وبروز القوة البحرية العثمانية في البحر الأبيض المتوسط، مما نشط الحياة الإقتصادية والتجارية، ونمت المدن العثمانية مثل "إسطانبول" "بروسة" "ازمير" " أدرنه".

ومن الأحداث البارزة التي عاصرها هذا السلطان إندلاع حرب ضروس بين العثمانيين والبنادقة انتهت باستيلاء العثمانيين على كامل الموانئ التجارية التابعة للبندقية في شبه جزيرة المورة، كذلك في عهد هذا السلطان بدأ الإحتكاك العثماني الصفوي والعثماني المملوكي، بسبب التنافس على السيطرة على الإمارات الإسلامية الواقعة في منطقة الأناضول.

8 ـ السلطان الغازي محمد الثاني "الفاتح":

كان متتبعا للمعرفة موهوب الأفكار جريء في جميع الأمور، يسمع كل يوم تواريخ الرّومان، ومدوّنات الباباوات والأباطرة، كان عالما وشاعرا، وكان يجيد عدّة لغات، بشخصيته العظيمة هذه كانت له سلبيات، لكنّ إيجابياته طاغية، كان يعتبر مثل حكّام النّهضة (الحاكم المستنير).

لكنّ له سلبيات من جملتها أنّه توسّع في منح الإمتيازات للكنيسة الأرثذوكسية حتى يسّد الباب أمام أيّ تحالف كاثوليكي أرثوذكسي، ولإعطاء القيمة أكثر للعاصمة إسطانبول و تظلّ هادئة، أحد أحفاده سليمان القانوني سيلعب دور مثلما لعبه جده يقف إلى جانب البروتيستانت.

انتهج سياسة سحق الأرستقراطية التركية وتقديمه للدفشرمة، هذه الأرستقراطية التركية كانت تتمثل في أسرة جَنْدَرْلِي التي ساندت آل عثمان من الأول، لكنّ محمد الفاتح صار بيزنطي التفكير، فغيّر أسس الدولة العثمانية، كانت دولة الشريعة عندما جاء محمد الفاتح ألغى هذه التسمية، صارت دولة بالقوانين البيزنطية، فقرب الدفشرمة على أساس الولاء والطاعة العمياء، فهم لا يعرفون أب ولا أم، بل يعرفون السلطان والقصر فقط، وهناك ولاء في التنافس (الترقية) فيصيرون صدر أعظم. لذلك إستمرت الدولة العثمانية في حياتها فلم تتكون أرستقراطية عثمانية تنافس الإمبراطورية العثمانية، وبذلك فقد الأشراف الأتراك نفوذهم وإنفتحت أبواب كافة الوظائف إلى زمرة الدفشرمة الذين يستمدون قوتهم من السّلطان والسرايا.

كما يعد محمد الفاتح أوّل سلطان قام بإنشاء قانون نامة وهذا نقلا عن البيزنطيين، و من جملة هذه القوانين:

- أقرّ إمكانية قتل الإخوة في حالة التنافس على الحكم.
- وضع مراتب الزيارة

---

[70]- نفسه، ص47 – 48

[71]- محمد سهيل طقّوش، المرجع السابق ، ص 111

– الأكل الفردي
- اعتمد الطرق البيزنطية ممّا كوّن معارضة
- نزع الأوقاف أمّمها حتى أصبح هو الذي يشرف عليها أو وزعها في شكل أراضي على هؤلاء الأتباع من الدفشرمة، فأثار ذلك حوله نزاع بشقيه المؤسسة الدينية من خلال إبعاد جندرلي.
- إعتماده على القوانين البيزنطية، العلماء والدّراويش لم يقبلوا بذلك والعسكرية من الجند الذين أرهقهم كثيرا بالحملات غربا وشرقا.

يتوفى محمد الفاتح في 1480م في معسكره ليس في العاصمة، كان يهيئ جيشا للتوجه إلى الشرق حيث الحدود مع الدولة المملوكية، توفي قبل أن يحقق هدفه، خلفه ابنه بيازيد الثاني يتولى السلطة 1480/ 1512م، رغم أنّ عصر هذا الأخير عرف توقفا للتوسعات العثمانية، إلاّ أنه من جهة أخرى عرف ظهور القوة البحرية العثمانية، ممّا نشط الحياة الإقتصادية والتجارية ونمت مدنا مثل إسطانبول – بورصة- أزمير (اليونان اليوم) وأدرنة.

أحد المؤرخين البيزنطيين يقول: لكي ندرك التاريخ العثماني لا بدّ أن نعطي بني عثمان حقهم كثاني مؤسسين لإمبراطورية روما الشرقية، ويقرّ المؤرّخون البيزنطيون المعاصرون للفاتح، بأنّ بني عثمان قد احتلوا مكانة أباطرة روما، وأنّهم أصبحوا حلفاؤهم الشرعيين.

ـ قائمة المصادر و المراجع المعتمدة

1- المصادر و المراجع باللغة العربية

- أنيس محمّد ، **الدّولة العثمانية والشرق العربي 1514-1914**، دار الجيل للطباعة، القاهرة
- آق كوندز أحمد ، **الدولة العثمانية المجهولة**، وقف البحوث العثمانية، إسطنبول، 2008،
- إينالجيك خليل ، **تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الإنحدار**، تر: د. محمد، م. الأرناؤوط، ط 1، دار المدار الإسلامي، لبنان، 2002
- بروكلمان كارل ، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، تر: نبيه أمين فارس و منير البعلبكي، ط 5، دار العلم للملايين، بيروت، 1968
- جاويش سليمان بن خليل بن بطرس ، **التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية**، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة، 2014

- حليم بك إبراهيم ، **التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العليّة**، ط 1، مطبعة ديوان عموم الأوقاف، 1905
- الحويري محمود محمد ، **تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى**، ط 1، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2002
- سالم أحمد ، **إستراتيجية الفتح العثماني**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2012
- الشناوي عبد العزيز محمد ، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، ج 1، مطبعة جامعة القاهرة، 1980

- عبد الرحيم مصطفى أحمد ، **في أصول التاريخ العثماني**، ط 2، دار الشروق، القاهرة، 1993
- فريد بك محمد ، **تاريخ الدولة العليّة العثمانية**، ط 2، مطبعة محمد أفندي مصطفى بحوش، مصر، 1896
- مانسيل فليب ، **القسطنطينية المدينة التي اشتهاها العالم 1453 – 1924**، تر: مصطفى محمد قاسم، ج 1، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأدب، الكويت، 2015،
- مؤنس حسين ، **الشرق الإسلامي في العصر الحديث**، ط 2، مطبعة حجازي، القاهرة، 1938
- طقّوش محمد سهيل ، **تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة**، ط 3، دار النفائس، لبنان، 2013
- ياغي إسماعيل أحمد ، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، ط 1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1996

2- <u>المراجع باللغة الأجنبية</u>

- J. de Hammer Purgstall, Histoire de l'Empire ottoman, depuis son origine jusqu'à nos jours, traduit de l'allemand par J.-J, Hellert, Tome 3, Paris, 1887
- L.Collas, Histoire de l'empire ottoman jusqu'à la révolution de 1909, 4 éditions, Paris